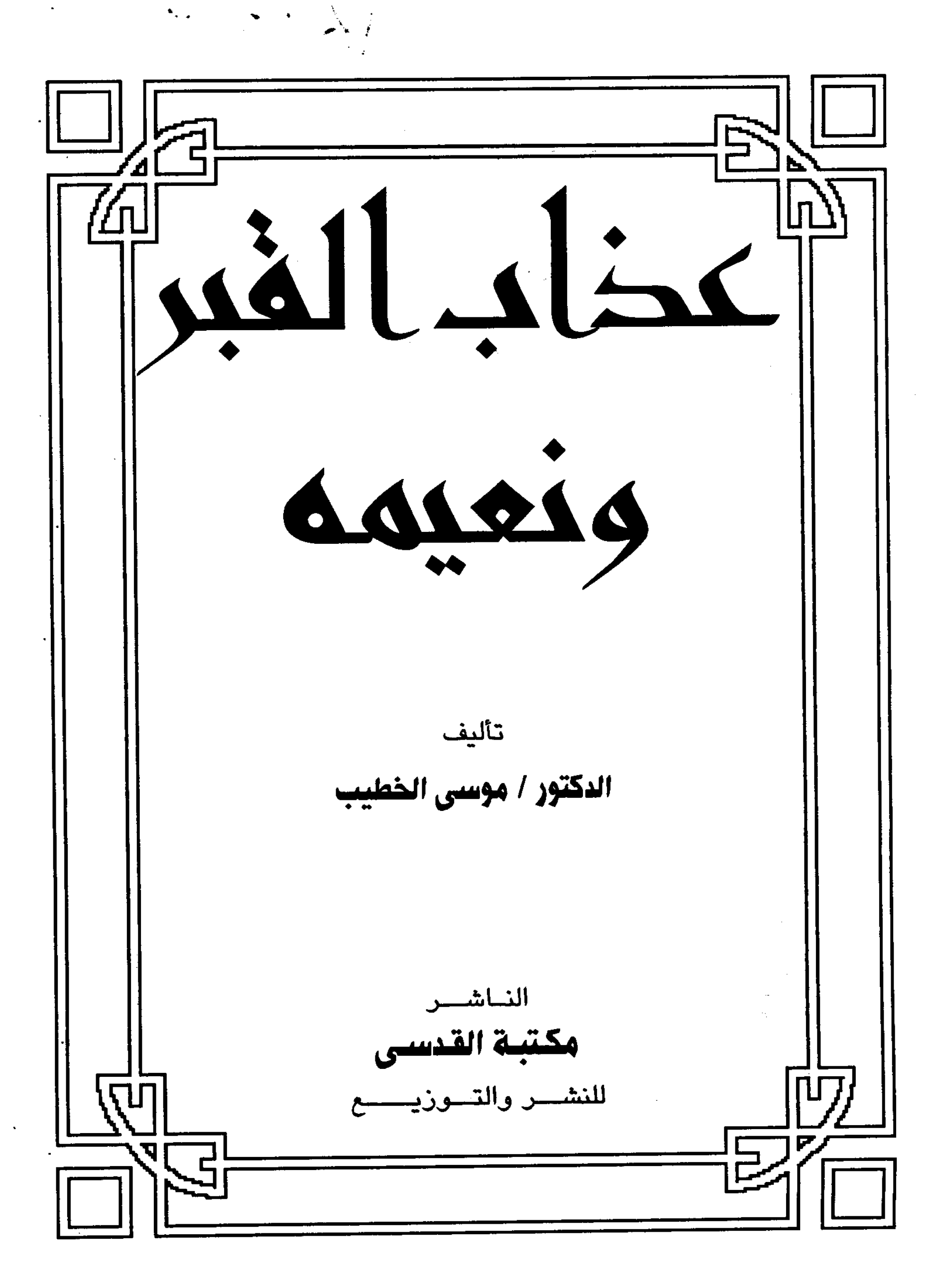


# عذاب القبر ونعيمه

تأليف

الدكتور / موسى الخطيب

الناشـر

مكتبة القدسى

للنشـر والتـوزيـع

**مكتبة القدسى**

**للنشر والتوزيع**

٧٤ ش البستان ـ عابدين ـ القاهرة

ت : ٣٩٢٥٦٨٨

**الطبعة الأولى**





١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م

**تطلب مطبوعاتنا**

**من**

**مركز توزيع الكتاب الإسلامى**

٢ درب الأتراك ـ خلف الجامع الأزهر

القاهرة ـ ت : ٥١٢٣٦١١

## بسم الله الرحمن الرحيم

## تصدير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان إلى يوم الدين الذين أعدوا للأمر عدته ، وأخذوا له أهبته ، فأسهروا ليلهم يصلون ويستغفرون ، ويناجون الله ، ويرتلون كتابه ، وأظمئوا نهارهم تقربا إلى الله بالصيام لأنهم علموا أن الأمر جدّ ، ولا نجاة من النار ، ولا فوز بالجنة إلا بالتشمير عن ساعد الجد .

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾(١).

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً** ﴾(٢).

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً** ﴾(٣).

أما بعد : فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدًى ، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم ، عرضه على السموات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منه إشفاقا ووجلا ، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة وإن خيرتنا فعاقبتك نريد لا نبغى بها بدلا ، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله ، وباء به على ظلمه وجهله ، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله ، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة ، لا ينظرون فى معرفة موحدهم وحقه عليهم ، ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار ، ولا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية ، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية ، فقد ملكهم باعث الحس وغاب عنهم داعى العقل ، وشملتهم الغفلة ، وغرتهم الأمانى الباطلة ، والخدع الكاذبة ، فخدعهم

---

( ١ ) آل عمران : ١٠٢.  ( ٢ ) النساء : ١.  ( ٣ ) الأحزاب : ٧٠ ـ ٧١ .

طول الأمل ، وران على قلوبهم سوء العمل ، فهم فى لذات الدنيا وشهوات النفس كيف حصلت حصّلُوها ، ومن أى وجه لاحت أخذوها ، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا .

**﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾(١) .**

**﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾(٢) .**

والعجب كل العجب من غفلة مَن لحظاته معدودة عليه ، وكل نفس من انفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه ، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أن يُحمل ويسار به أعظم من سير البريد ، ولا يدرى إلى أى الدارين ينقل ، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته لا لما سبق من جناياته ، وسلف من تفريطه ، حيث لم يقدم لحياته ، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له ، دفعها باعتياده على العفو وقال : قد أنبأنا أنه هو الغفور الرحيم ، وكأنه لم ينبأ أن عذاب الله هو العذاب الأليم .

فحق على الإنسان المكلف أن يذهب بنفسه مذهب الأخبار ، ويسلك مسلك أولى النهى(٣) والأبصار ، ويتأهب لما أشرت إليه ، ويهتم لما نبهت عليه .

ولقد أحسن القائل :

| | |
|---|---|
| **أن لله عبـــاداً فطنا (٤)** | **طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا** |
| **نظروا إليها فلما علموا** | **أنها ليست لحى وطنا** |
| **جعلوها لجة(٥) واتخذوا** | **صالح الأعمال فيها سفنا** |

ولحكمة جليلة سامية أخفى الله عنا الموت ، كى نجد ونجتهد ، ونجهز أنفسنا للقاء الله عز وجل ، فلا نتعلق بالدنيا ، بل نتعلق بالآخرة . جاء رجل إلى النبى ﷺ يسأله : من أزهد الناس .. يا رسول الله ؟

فقال ﷺ « **من لم ينس القبر والبلى ، وترك فضل زينة الدنيا ، وآثر ما يبقى على ما يفنى ، ولم يعد غداً من أيامه ، وعدّ نفسه من الموتى** » .

---

( ١ ) سورة الروم : الآية ٧ .
( ٢ ) الحشر : الآية ١٩ .
( ٣ ) أولى النهى : أصحاب العقول .
( ٤ ) فطنا : من له عقل ونظر فى العواقب .
( ٥ ) لجة البحر : بمثابة البحر .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : خطب رسول الله ﷺ على المنبر والناس حوله فقال : ( **أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء** ) ، فقال رجل : يا رسول الله أنا أستحى من الله تعالى .

فقال ﷺ : « **من كان منكم مستحيًا فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما وعى ، والرأس وما حوى ، وليذكر الموت والبلى ، وليترك زينة الدنيا** » .

وعن البراء رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال : « **يا إخوانى لمثل هذا فأعدوا** »(١)

ويقول عليه الصلاة والسلام لرجل يعظه « **اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك** » .

ومما لا شك فيه ولا مراء أن القبر هو أول منازل الآخرة ، وعذاب القبر ونعيمه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع . قال تعالى ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾(٢).

ويقول الله تعالى﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾(٣) .

والعذاب الأدنى قبل الحشر فى القبر ، والعذاب الأكبر بعده .

وفى صحيح ابن حبان عن أم مبشر قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ وهو يقول : « **تعوذوا بالله من عذاب القبر** ». فقلت : يا رسول الله وللقبر عذاب ؟ فقال: « **إنهم ليعذبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم** »(٤).

وأخرج الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة** »(٥).

وروى أبو يعلى وابن منده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : « **إن المؤمن فى قبره لفى روضة خضراء فيرحب له قبره سبعون ذراعًا ،**

---

( ١ ) رواه ابن ماجه . ( ٢ ) غافر : الآية ٤٦ . ( ٣ ) السجدة : الآية ٢١ .

( ٤ ) ورواه ابن أبى شيبه والشيخان ( البخارى ومسلم ) عن عائشة رضى الله عنها بلفظ ( إن أهل القبور يعذَّبون فى قبورهم عذابا تسمعه البهائم ) .

( ٥ ) رواه البخارى ومسلم .

وينور له كالقمر ليلة البدر » ثم قال : أتدرون فيما أنزلت هذه الآية ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١).

قالوا : الله ورسوله أعلم .. قال : « **عذاب الكافر فى قبره والذى نفسى بيده ، أنه يسلط عليه تسعة وتسعين تنينا ... أتدرون ما التنين ؟ ... سبعون حية ، لكل حية سبع رءوس يلسعونه ويخدشونه إلى يوم القيامة** » .

وأخرج البزار عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يا رسول الله : تُبتلى هذه الأمة فى قبورها ، فكيف بى وأنا امرأة ضعيفة ، قال :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(٢).

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ، إذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته ، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ، وتذكر القبر فتبكى ؟! فقال : إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **القبر أول منزل من منازل الآخرة ، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج منه فما بعده أشد** » وسمعت رسول الله ﷺ يقول « **ما رأيت منظراً قط إلا القبر أفظع منه** »(٣).

والناس من قديم ، قد شغلهم وأهمهم استكشاف كُنْه الموت وما بعده ، وفى هذا العصر الذى طغت فيه المادة ، وألهتهم مفاتن الحياة وزخارفها عن ذكر الموت هازم اللذات ، ومفرق الجماعات .. وما يكون بعده من أمر الحياة البرزخية .. حيث ضمة القبر ، وسؤال الملكين ، وعذاب القبر ونعيمه ـ موضوع هذا الكتاب الذى بين يديك ـ ومن ثم اتجهت النية مخلصة إلى مثل هذا اللون من التأليف ، الذى يرقق القلوب ، ويستهوى الأفئدة ، ويؤثر فى النفوس تأثيراً بليغا ، ويحملهم على إعداد أنفسهم للحياة الباقية ، والدار الآخرة .

فيا أيها الناظر فيه لك غُنْمه ، وعلى مؤلفه غُرمه ، ولك صفوه ، وعليه كدره ، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك ، وبنات أفكاره تزف إليك ، فإن صادفت كفؤاً كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان ، وإن كان غيره فالله المستعان .

فما كان من صواب فمن الواحد المنان ، وما كان من خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله برىء منه ورسوله .

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾(٤).

---

( ١ ) طه : الآية ١٢٤ .  ( ٢ ) إبراهيم : الآية ٢٧ .
( ٣ ) أخرجة الحاكم وابن ماجه والبيهقى .  ( ٤ ) هود : ٨٨ .

فاللهم اجعلنا من عبادك السعداء الموفقين ، ولا تجعلنا من عبادك الأشقياء المحرومين ، واهدنا صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين .

والله أسأل أن يكتب لمؤلفى هذا القبول والتمكين ، والنظر إليه بعين الرضا والتقدير .

**وعين الرضا عن كل عيبٍ كليلة     كما أن عين السخط تُبدى المساويا**

وأرجو من قرائه الكرام أن يغضوا الطرف عن هفواته وأخطائه ، فإن العصمة لله وحده ، والكمال لله رب العالمين ،

وبالله التوفيق

**المؤلف**
**الدكتور / موسى الخطيب**

# الفصل الأول

## القبر آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة

القبر هو الرمس : آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة .

وكان عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فسئل عن ذلك وقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكى ! وتبكى إذا وقفت على قبر ! فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن القبر أول منازل الآخرة ، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه ، وإن لم ينج فما بعده أشد منه** » .

قال : وقال رسول الله ﷺ : « **مارأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه** »(١) .

فهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إنه محط الرجال ومنزل الجميع ، يضم الكل ويجمع الجميع ، إنه القبر فى هذا الشق من الأرض مثوى بنى الإنسان من التراب كانوا .. وإلى التراب ساروا وصاروا .

**رُبَّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ... ضاحك من تزاحم الأضداد**

**ودفين عَلى بقايا دفين ... فى طويل الأزمان والآباد(٢)**

لحد فى باطن الأرض وهو الجدث الذى يضم الرفات لكائن كان من قبل ملء السمع والبصر . كان الصحة كل الصحة .. كان الشباب والنشاط والحيوية .. كان العقل المفكر المدبر ، واليد العاملة المنتجة والصوت المدوى .. يفرض عزه وسطوته وسلطانه فى دنيا البشرية ، وسرعان ما سكنت أنفاسه ، وسكنت حركاته ، وغاب فى أعماق الأبدية فى هذا الشق من الأرض تحت حبيبات الرمل وذرات التراب ..

---

( ١ ) رواه الترمذى ( ٢٣٥٨ ) كتاب الزهد باب ( ٥ ) وابن ماجه ( ٤٢٦٥ ) كتاب الزهد : باب ذكر القبر والبلى وغيرها ، وقال الترمذى : حديث غريب ، وحسنه الألبانى فى المشكاة (١٣٢ ) وصحيح الجامع ( ٥٤٩٩ ) وقال الأرناؤوط فى تخريجه بجامع الأصول ( ١١ / ١٢٥ ) إسناده حسن .

( ٢ ) البيتان لابى العلاء المعرى .

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى — كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه — وحواه عند الموت لحد ضيق(١)

إن أي بليغ مهما أوتى من الشفاهية أو من العبقرية ، أو من سعة الخيال وجموحه لا يستطيع أن يصف ذلك المنزل الأخروى ، ثم ماذا يصف ؟ وأخيراً أنى يصف ولا أحد ممن أوصد وراءه هذا الباب ارتد إلينا منبئا بما كان ، وبما رأى حتى يكون زاداً لحديث متحدث أو مادة لكاتب .

فلم يكن إلا العجز عن الوصف ... ولم يكن هناك إلا حديث القرآن عن القبر، القبر كما وصفه القرآن هو بعض مظاهر تكريم الله للإنسان . قال تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾(٢). فجعلت القبر مما أكرم الله به ابن آدم .

## أول قبر على وجه الأرض :

وتحدث القرآن عن قصة أول قبر كان ، عندما اعتدى قابيل على هابيل ، وارتكب أول جريمة بشرية فى دنيا الإنسان ، جريمة إزهاق الروح وقتل النفس .

ولما قتل قابيلُ هابيلَ ، ورآه أمامه جثة هامدة .. أسقط فى يده ، فلم يكن هناك قتل من قبل ، ولم يكن هناك دفن أو قبر .. ولم يدر ماذا يفعل ؟! وعلى مرأى منه أرسل الله غرابين يقتتلان ، فقتل أحدهما الآخر ، ثم حفر له حفرة فى الأرض فواراه فيها .. وفعل قابيل بجثة أخيه ما فعل الغراب القاتل بجثة الغراب القتيل ..

عن ذلك يقول القرآن الكريم : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ

(١) البيتان للمتنبى . (٢) عبس : ١٨ ـ ٢١ .

هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(١) .

قال ابن عباس : ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة . ويقال : إنه لما قتله قعد يبكى عند رأسه إذ أقبل غرابان فاقتتلا ، فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له حفرة فدفنه ، ففعل القاتل بأخيه كذلك . فبقى ذلك سنَّة لازمة فى بنى آدم . وفى التنزيل ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴾(٢) أى جعل له قبراً يوارى فيه إكراما له ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله الطير والعوافى .

**من أحوال الصالحين وعظاتهم في القبور :**

روى أن أبا الدرداء - رضى الله عنه - كان يقعد إلى القبور فقيل له فى ذلك فقال : أجلس إلى قوم يُذَكِّروننى معادى وإن غبت لا يغتابوننى » .

ولما رجع الإمام على - كرم الله وجهه - من صفين وأشرف على القبور قال : « يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة ، والقبور المظلمة ، يا أهل التربة ، يا أهل الغربة ، يا أهل الوحشة أنتم فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق .

أما الدور فقد سُكنت، وأما الأزواج فقد نُكحت ، وأما الأموال فقد قسمت ، هذا خبر ما عندنا ، فما هو خبر ما عندكم ؟ ثم التفت إلى أصحابه فقال : أما لو أذن لهم فى الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى .

وقال الأزرقى : لما انصرف أبو موسى الأشعرى من الحكمين نزل مكة فبنى سقيفة من حجارة على فوهة شعب أبى الدب وهناك مقبرة ، فقال : « أجاور قوماً لا يغدرون » يعنى أهل القبور .

وقال أبو ذر - رضى الله عنه - : « ألا أخبركم بيوم فقرى ؟ يوم أوضع فى قبرى . وشهد الحسن جنازة فاجتمع عليه الناس فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم رحمكم الله - فإنما هم إخوانكم يقدمونكم وأنتم بالأثر ، أيها المخلف بعد أخيه إنك الميت غداً والباقى بعدك والميت فى اثرك أولا بأول حتى توافوا جميعا قد عمّكم الموت واستويتم جميعا فى كربه وغصصه ، ثم تخليتم إلى القبور ، ثم تنشرون جميعا ثم تعرضون على ربكم عزوجل »

شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر فقال :

« إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ، وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن

---

( ١ ) المائدة : ٢٧ - ٣١ . ( ٢ ) عبس : ٢١.

يخاف آخره »[1] ، وقال أيضا لأصحابه وهم فى المقابر : « هم أهل محلة قد كفى من جلس إليهم الكلام وله فى الجلوس إليهم الموعظة والاعتبار »[2].

ومر به شاب ، معجب بنفسه ، وعليه بردة حسنة فقال الحسن : « ابن آدم معجب بشبابه ، معجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك ، وكأنك لاقيت عملك ، ويحك ذا فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم[3]. وقال أيضا : يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط : « يوم تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها ، وليلة صبيحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى ، إما الجنة أو النار ، ويوم تعطى كتابك بيمينك وإما بشمالك ». وقال أيضا : « أوذنوا بالرحيل ، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون .

ونظر عمرو بن العاص إلى المقبرة ، فنزل وصلى ركعتين ، فقيل له : هذا شىء لم تكن تصنعه ؟ فقال : ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما .

وكان ثابت البنانى[4] يذكر القبور وأهلها ، فيبكى حتى تختلف أضلاعه ، ومن أحواله مع القبور قال : بينما أنا أمشى فى المقابر إذ أنا بهاتف من واد ، يا ثابت : لا يغرنك سكوتها فكم من مغموم فيها فالتفت فلم أجد شيئا[5] وقال : دخلت المقابر فقلت : يا أهل القبور فلم يجبنى أحد ، ثم قلت يا أهل القبور فلم يجبنى أحد ، فأجاب عقلى : نحن مثلك كنا ، وكما نحن تكون » ودخل المقابر فبكى فقال : « بليت أجسامهم ، وبقيت أخبارهم ، فالعهد قريب » .

وهذا العابد الزاهد محمد بن واسع[6] يعلن إعجابه بمنزل صديقه عمارة بن مهران المعولى ، وقد رآه يجاور القبور ، ويقول : « ما أعجب إلى منزلك ! » قال عمارة : وما يعجبك من منزلى وهو عند القبور ؟! قال : « وما عليك ؟! يقلون الأذى . ويذكّرونك الآخرة » .

---

( ١ ) أخرجه البيهقى فى كتاب الزهد ( ٥٤٥ ) بنحوه وأورده ابن الجوزى فى المدهش ص١٩٠.

( ٢ ) رواه ابن أبى الدنيا فى أهوال القبور .

( ٣ ) رواه أبو نعيم فى الحلية ( ٢ / ١٥٤ ) وابن أبى الدنيا فى أهوال القبور .

( ٤ ) ترجمته فى ميزان الأعتدال ( ١ / ٣٦٢ ) وتهذيب التهذيب ( ٢/ ٤٠٢ ) ، وصفة الصفوة ( ٣/٢٦٠ ) والحلية لأبى نعيم ( ٢/ ٣٣٣،٣١٨ ) .

( ٥ ) أخرجه ابن أبى الدنيا فى أهوال القبور .

( ٦ ) هو أبوبكر أو أبو عبد الله البصرى ، ثقة عابد كثير المناقب ، مات سنة ١٢٣ هـ ، وانظر ترجمته فى التقريب ( ٢ / ٢١٥ ) ، والحلية ( ٢ / ٣٤٥ ) .

وقال عاصم الحيطي : كنت أمشي مع محمد بن واسع ، فأتينا المقابر ، فدمعت عيناه ، ثم قال : يا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم ، فكأنهم وقد وثبوا من هذه الأجداث ، فمن بين مسرور ومهموم » !

ودخل محمد بن واسع على بلال بن أبى بردة ، فسأله عن القدر ، فقال له : « جيرانك من أهل القبور ، فكر فيهم ، فإن فيهم شغلا عن سؤالك »

قال ابن عباد : وكان الربيع بن خيثم قد حفرفى داره قبراً ، وكان يضع فى عنقه غلا ، وينام فى لحده ويقول : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ (١) ، ثم يقوم وهو يقول : « يا ربيع قد أعطيت ما سألت ، فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلا ترد » .

وكان يزيد الرقاشي يقول : أيها المقبور فى حفرته ، المتخلى فى القبر بوحدته المستأنس فى بطن الأرض بأعماله . ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت ، وبأى أحوالك اغتبطت ، ثم يبكى حتى يبل عمامته ، ويقول استبشر والله بأعماله الصالحة ، واغتبط والله ـ بإخوانه المتعاونين له على طاعة الله تعالى .

وروى عن مطرف بن أبى بكر الهذلى قال : كانت عجوز فى عبد القيس متعبدة فكانت إذا جن الليل شمرت عن ساعد الجد ، ثم قامت إلى محرابها تصلى وتتهجد ، وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور ، فبلغنى أنها عوتبت فى كثرة إتيانها المقابر فقالت : إن القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى ، وإنى لآتى القبور فكأنى أنظر إلى أهلها وقد خرجوا من بين أطباقها ، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة ، وإلى تلك الأجسام المتغيرة ، وإلى تلك الأكفان الباليه ، فيا له من منظر كم لك فيه معتبر ؟!

وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على المقابر يقول : ما أحسن ظواهرك ، إنما الدواهى فى بواطنك .

وقال حاتم الأصم : من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم .

وكان بكر العابد يقول : يا أماه ليتك كنت بى عقيما ، إن لابنك فى القبر حبسا طويلا ، ومن بعد ذلك منه رحيلا .

وكان عطاء السلمى إذا جن عليه الليل خرج فوقف على القبور ، ثم يقول: يا أهل القبور متم فوا موتاه ، وعاينتم أعمالكم فوا عملاه ! ثم يبكى فلا يزال كذلك حتى يصبح » .

---

(١) المؤمنون ٩٩ .

وكان العمرى الزاهد يلازم المقابر ، ومعه كتاب لا يفارقه فقيل له فى ذلك قال: ما شيء أو عظ من قبر ولا آنس من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ولبعضهم .

| | |
|---|---|
| يا من بدنياه اشتغل | وغرّه طول الأمل |
| الموت يأتى بغتة | والقبر صندوق العمل |

## موعظة القبر :

روى عن عبدالله بن عمرو ، قال : إن العبد إذا وضع فى القبر كلمه فقال : يا ابن آدم ، ألم تعلم انى بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الحق ؟ يا ابن آدم ! ما غرك بى ؟ قد كنت تمشى حولى فداداً[1] فإن كان مؤمنا وسع له ، وجعل منزله أخضر ، وعرج بنفسه إلى الجنة[2].

وقال : أبو محرز الطفاوى : كفتك القبور مواعظ الأمم السالفة .

وقيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظات ؟ قال : النظر إلى محلة الأموات[3]

وقال مسروق[4] : « ما من بيت خير للمؤمن من لحده قد استراح من أمر الدنيا أو من عذاب الله »[5] .

وقال بشر بن الحارث[6] : « نعم المنزل القبر لمن أطاع الله » ولقد أحسن بعض الشعراء حيث يقول :

| | |
|---|---|
| ولدتك أمك باكيا مستصرخا | والناس حولك يضحكون سروراً |
| فاحرص لنفسك أن تكون إذا | بكوا فى يوم موتك ضاحكا مسروراً |

أين من شيد القلاع وعمر الحصون واستخرج من الكنوز المال المصون ؟.أما

---

( ١ ) فداداً : أى ذا أمل كبير وخيلاء وسعى دائم .

( ٢ ) أخرجه ابن أبى شيبه فى المصنف .

( ٣ ) رواه ابن أبى الدنيا فى أهوال القبور .

( ٤ ) هو مسروق بن عبد الرحمن الهمدانى الكوفى ، أبو عائشة ، فقيه ، ثقه عابد مخضرم ، مات سنة ٦٢هـ ، كان عالما عاملا ، قال عنه الشعبى : ما رأيت أطلب للعلم فى أفق الآفاق من مسروق ، ترجمته فى التقريب ( ٢ / ٢١٢ ) والحلية ( ٢ / ٩٥ ).

( ٥ ) أخرجه أبو نعيم فى الحليه ( ٢ / ٩٧ ) وأحمد فى الزهد ( ٢ / ٢٨٦ ) ووكيع فى الزهد ( ٨٧ ) وإسناده صحيح .

( ٦ ) بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزى نزيل بغداد ، أبو نصر الحافى الزاهد الجليل المشهور ، ثقة قدوة ، مات سنة ٢٢٧ هـ . ولماقيل للإمام أحمد مات بشر بن الحارث ، قال : مات رحمه الله وما له نظير فى هذه الأمة ، ترجمته فى الحلية (٨/ ٣٣٦ ) ، تاريخ بغداد ( ٧ / ٧٣ ) والتقريب ( ٢ / ٩٨ ).

دار عليه رحى المنون ، أما صار كل منهم فى الثرى بعمله مرهون ؟ فتيقظ أيها الغافل قبل أن تهمد حركاتك بالسكون وتزول إلى اللحد المسكون ، ولا تركن إلى الآمال ، فيوم المآل كأن قد سيكون .، اعتبر بدوران الأقدار ، على ذوى الأقدار ودع عنك الفتون ، أما سمعت ما قال الله فى كتابه المكنون ﴿ **سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾(١).

إخوانى تفكروا فى مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا مصيرهم أين انطلقوا ؟ واعلموا أن القوم انقسموا وافترقوا ، قوم منهم سعدوا ، ومنهم قوم شقوا إخوانى دنا رحيلكم ، وقد بان سبيلكم وسيهجركم خليلكم ، وقد نصحكم دليلكم قال أبو العتاهية(٢).

| | |
|---|---|
| **يا نفس قد أزف الرحيل** | **وأظلك الخطب الجليل** |
| **فتأهبى يا نفس ، لا** | **يلعب بك الأمل الطويل** |
| **فلتنزلن بمنزل،** | **ينسى الخليل به الخليل** |
| **وليركبن عليك فيه** | **من الثرى ثقل ثقيل** |
| **قرن الفناء بنا، فما** | **يبقى العزيز ولا الذليل** |

تذكركم من جنازة شيعت ؟!

وابك على نفسك قبل أن يبكى عليك ، وتفكر فى سهم قد صوب إليك وإذا رأيت جنازة فاحسبها أنت وإذا عاينت قبراً فتوهمه قبرك .

إخوانى : تفكروا فى الذين رحلوا أين نزلوا ؟

وتذكروا أن القوم نوقشوا وسئلوا ، واعلموا أنكم كما تعذلون عذلوا ، ولقد ودوا بعد الفوات لو قبلوا .

يا طويل الأمل فى قصير الأجل ، ياكثير الزلل فى يسير العمل ، خلا لك الزمان ، وما سددت الخلل ، أفما عندك وجل ( خوف ) من هجوم الأجل

| | |
|---|---|
| **فخذ للسير أهبته وبادر** | **وجود جمع رحلك للذهاب** |
| **فقد جد الرحيل وأنت ممن** | **يسير على مقدمة الركاب(٣)** |

وأعلم يا أخى وفقك الله أن المواعظ سياط تضرب بها القلوب فيؤثر فى

---

( ١ ) الأعراف : آية ١٨٢ .

( ٢ ) ديوان أبى العتاهية : ( ص ٣٥٧ ـ ٣٥٨ ) وانظر باقى القصيدة فإن لك فيها معتبر .

( ٣ ) لطائف المعارف ، ص ( ١٣ ) ، وصيد الخاطر ( ٩ ، ١٠ ).

القلوب كتأثير السياط فى البدن[1] والناس يتفاوتون فى تـقبل المواعظ ، والسبب عدم حضور القلب ويقظته عند سماع الموعظة ، قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[2].

فاحضر قلبك ، وألق بسمعك إلى ما وعظت به تنتفع بها إن شاء الله ».

***

---

( ١ ) المدهش بتصرف .

( ٢ ) ق : الآية ٣٧ .

## الفصل الثانى

## أحوال ما بعد الموت

### زيارة القبور :

زيارة القبور مستحبة للرجال ، لما رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن عبد الله بن بريدة عن أبيه : أن النبى ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها . فإنها تذكركم الآخرة » وكان النهى ابتداء لقرب عهدهم بالجاهلية ، وفى الوقت الذى لم يكونوا يتورعون فيه عن هجر الكلام وفحشه ، فلما دخلوا فى الإسلام واطمأنوا به وعرفوا أحكامه ، أذن لهم الشارع بزيارتها .

وعن أبى هريرة : أن النبى ﷺ زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله . فقال النبى ﷺ : « **استأذنت ربى أن أستغفر لها ، فلم يؤذن لى ، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروها ، فإنها تذكر الموت** » رواه أحمد ومسلم وأهل السنن إلا الترمذى .

ولما كان المقصود من الزيارة التذكر والاعتبار ، جاز زيارة قبور الكفرة لهذا المعنى نفسه ، فإن كانوا ظالمين وأخذهم الله بظلمهم ، استحب البكاء وإظهار الافتقار إلى الله عند المرور بقبورهم وبمصارعهم ، لما رواه البخارى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه ـ يعنى لما وصلوا الحِجْر . ديار ثمود ـ : «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فان لم تكونوا فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم** » .

## صفة الزيارة من هدى النبى ﷺ كأنك تصحبه وتسير معه

إذا وصل الزائر إلى القبر استقبل وجه الميت وسلم عليه ودعا له ، وقد جاء فى ذلك :

١ ـ عن بريدة قال : كان النبى ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم : « **السلام عليكم أهل(١)الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم فرطنا ونحن لكم تبع ، ونسأل الله لنا ولكم العافية** » رواه أحمد ومسلم وغيرهما .

---

( ١ ) أهل : منصوب على الاختصاص أو النداء .

٢ - وعن ابن عباس : أن النبى ﷺ مر بقبور المدينة ، فأقبل عليهم بوجهه فقال : « **السلام عليكم يا أهل القبور . يغفر الله لنا ولكم . أنتم سلفنا ونحن بالأثر** » رواه الترمذى .

٣ - وعن عائشة قالت : « كان النبى ﷺ كلما كان ليلتها ، يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: « **السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد** » رواه مسلم

٤ - وروى عنها قالت : قلت كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : « **قولى : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون** » .

وأما ما يفعله بعض من لا علم لهم ، من التمسح بالأضرحة وتقبيلها والطواف حولها ، فهو من البدع المنكرة ، التى يجب اجتنابها ويحرم فعلها ، فإن ذلك بالكعبة زادها الله شرفاً . ولا يقاس عليها قبر نبى ولا ضريح ولى والخير كله فى الاتباع ، والشر كله فى الابتداع .

قال ابن القيم : كان النبى ﷺ إذا زار القبور يزورها للدعاء لأهلها . والترحم عليهم والاستغفار لهم ، فأبى المشركون إلا دعاء الميت والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به ، والتوجه إليه ، بعكس هديه ﷺ ، فإنه هدى توحيد وإحسان إلى الميت ، وهدى هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت ، وهم ثلاثة أقسام إما أن يدعوا للميت ، أو يدعوا به ، أو عنده ، ويرون الدعاء عنده أولى من الدعاء فى المساجد ، ومن تأمل هدى رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين .

## زيارة النساء :

رخص مالك وبعض الأحناف ورواية عن أحمد وأكثر العلماء ، فى زيارة النساء للقبور ، لحديث عائشة : كيف أقول لهم يا رسول الله - أى عند زيارتها للقبور - وقد تقدم عن عبدالله بن أبى مليكة . أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر، فقلت : يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخى عبد الرحمن . فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ؟ قالت نعم . كان نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر بزيارتها . رواه الحاكم والبيهقى وقال :تفرد به بسطام ابن مسلم البصرى . وقال الذهبى : صحيح . وفى الصحيحين عن أنس : أن

رسـول الله ﷺ مـر بامـرأة عند قـبـر تبكى على صـبى لـهـا فـقـال لهـا : « **اتقـى الله واصبرى** » فقـالت : ومـا تبالى بمصـيبـتى فلما ذهب قـيل لها : إنـه رسـول الله ﷺ فأخذها مثل الموت ، فأتت بابه ، فلم تجد على بابه بوابين ، فقالت : يا رسـول الله : لـم أعـرفك . فـقـال : « إنما الصـبـر عند الصـدمـة الأولـى » ووجـهـة الاسـتـدلال أن الرسول ﷺ رآها عند القبر فلم ينكر عليها ذلك .

ولأن الزيارة من أجل التـذكـيـر بالآخـرة ، وهـو أمـر يـشـتـرك فـيـه الـرجـال والنساء، وليس الرجال بأحوج إليه منهن .

وكره قوم الزيارة لهن لقلة صبرهـن وكـثـرة جزعهـن ، ولقول رسـول الله ﷺ : « **لعن الله زوارات القـبـور** » رواه أحـمـد وابن مـاجـة والتـرمـذى وصـحـحـه . قـال القـرطبى : اللعن المذكـور فى الحـديث إنما هـو للمكثـرات من الزيارة لما تقـتـضيه الصـيـغة مـن المبالغـة ، ولعل السـبـب مـا يفـضـى إليه ذلك من تضـيـيع حق الزوج والتبـرج . ومـا ينشـأ من الصـيـاح . ونحـو ذلك ، وقـد يقال : إذا أمن جمـيـع ذلك فلا مانع من الإذن لهن ، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء . قال الشـوكانى ـ تعليقاً على كلام القرطبى ـ : وهـذا الكلام هـو الذى ينـبـغى اعتماده فى الجـمـع بين أحاديث الباب المتعارضة فى الظاهر.

## الأعمال التى تنفع الميت وما لا ينفعه :

من المتفق عليه : أن الميت ينـتـفـع بما كان سـبـبـاً فيه من أعمـال البـر فى حياته ، لما رواه مسلم وأصحاب السـنن عن أبى هـريرة أن النبى ﷺ قال : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » وروى ابن ماجة عنه أنه ﷺ قـال : « **إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعـد موته ، علمـاً علمـه ونشـره ، أو ولداً صالحـاً تركه أو مـصـحـفـاً ورثـه ، أو مسجـداً بناه ، أو بيـتـاً بناه لابن السـبـيل ، أو نهـراً أكراه أو صـدقة أخـرجـهـا من ماله فى صحـتـه وحياته ، تلحقـه من بعد موتـه** » . وروى مـسـلم عن جـريـر بن عبدالله : أن النبى ﷺ قال : « **من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بهـا من بعده من غـيـر أن ينقص من أجـورهم ، ومن سن فى الإسـلام سنة سيئـة كان عـليه وزرها ، ووزر من يعـمل بهـا من بعـده مـن غيـر أن ينقص من أوزارهم شئ** » أما ما ينتفع به من أعمال البر الصادره عن غيره فبيانها فيما يلى

١ ـ **الدعاء والاستغفار له** ، وهذا مجمع عليه لقـول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

جاءُوا من بَعْدهمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)، وتقدم قول الرسول ﷺ : « **إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء** » . وحفظ من دعاء رسول الله ﷺ : « **اللهم اغفر لحينا وميتنا** » . ولا زال السلف والخلف يدعون للأموات ويسألون لهم الرحمة والغفران دون إنكار من أحد .

٢ ـ **الصدقة** : وقد حكى النووى الإجماع على أنها تقع عن الميت ويصله ثوابها سواء كانت من ولد أو غيره . لما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة أن رجلا قال للنبى ﷺ : إن أبى مات وترك مالاً ولم يوص ، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم . وعن الحسن عن سعد بن عبادة : أن أمه ماتت ، فقال : « يا رسول الله : إن أمى ماتت ، أفأتصدق عنها ؟ قال : نعم . قلت : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : سقى الماء » قال الحسن : فتلك سقاية آل سعد بالمدينة . رواه أحمد والنسائى وغيرهما .

ولا يشرع إخراجها عند المقابر ، ويكره إخراجها مع الجنازة .

٣ ـ **الصوم** : لما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس قال : « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهرأفأقضيه عنها » ؟ قال : « **لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم . قال : « فدين الله أحق أن يقضى** » .

٤ ـ **الحج** : لما رواه البخارى عن ابن عباس : أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : « **حجى عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا فالله أحق بالقضاء** » .

٥ ـ **الصلاة** : لما رواه الدار قطنى أن رجلا قال : يا رسول الله إنه كان لى أبوان أبرهما فى حال حياتهما فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال ﷺ : « **إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك ، وأن تصوم لهما مع صيامك** » .

٦ ـ **قراءة القرآن** : وهذا رأى الجمهور من أهل السنه قال النووى : المشهور

---

( ١ ) الحشر : ١٠ .

من مذهب الشافعى أنه لا يصل ، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من أصحاب الشافعى إلى أنه يصل . فالاختيار أن يقول القارئ بعد فراغه : اللهم أوصل مثل ثواب ما قرأته إلى فلان . وفى المغنى لابن قدامة : قال أحمد بن حنبل : الميت يصل إليه كل شىء من الخير ، للنصوص الواردة فيه ، ولأن المسلمين يجتمعون فى كل مصر ويقرؤون ، ويهدون لموتاهم من غير نكير ، فكان إجماعاً.

والقائلون بوصول ثواب القراءة إلى الميت ، يشترطون أن لا يأخذ القارئ على قراءته أجراً . فإن أخذ القارئ أجراً على قراءته حرم على المعطى والآخذ ولا ثواب له على قراءته ، لما رواه أحمد والطبرانى والبيهقى عن عبد الرحمن بن شبل: أن النبى ﷺ قال : « **اقرؤوا القرآن ، واعملوا ... ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ، ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به** » .

قال ابن القيم : والعبادات قسمان : مالية وبدنية ، وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول سائر العبادات المالية ، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول سائر العبادات البدنية ، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية ، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار .

## اشتراط النية

ولابد من نية الفعل عن الميت . قال ابن عقيل : إذا فعل طاعة من صلاة وصيام وقراءة قرآن وأهداها ، بأن جعل ثوابها للميت المسلم ، فإنه يصل إليه ذلك وينفعه بشرط أن تتقدم نية الهدية على الطاعة وتقارنها ، ورجح هذا ابن القيم .

## أفضل ما يهدى للميت

قال ابن القيم : قيل الأفضل ما كان أنفع فى أنفسه ، فالعتق عنه ، والصدقة أفضل من الصيام عنه ، وأفضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة، ومنه قول النبى ﷺ : « **أفضل الصدقة سقى الماء** » وهذا فى موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش ، وإلا فسقى الماء على الأنهار والقنى لا يكون أفضل من إطعام الطعام عند الحاجة ، وكذلك الدعاء والاستغفار له إذا كان بصدق من الداعى وإخلاص وتضرع ، فهو فى موضعه أفضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة ، والوقوف للدعاء على قبره .

وبالجملة : فأفضل ما يهدى إلى الميت العتق والصدقة والاستغفار والدعاء له والحج عنه وقضاء الدين عنه .

## هل يجوز إهداء الثواب إلى رسول الله ﷺ ؟

قال ابن القيم : قيل :من الفقهاء المتأخرين من استحبه ، ومنهم من لم يستحبه ورآه بدعة ، فإن الصحابة لم يكونوا يفعلونه ، وأن النبى ﷺ له أجر كل من عمل خيراً من أمته من غير أن ينقص من أجر العامل شىء لأنه الذى دل أمته على كل خير وأرشدهم ودعاهم إليه ، ومن دعا إلى هدى فله من الأجر مثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم ، وكل هدى وعلم فإنما نالته أمته على يده ، فله مثل أجر من اتبعه ، أهداه إليه أو لم يهده .

وقد ذكر ابن حجر فى الفتاوى الحديثية أن ابن تيمية زعم منع إهداء ثواب القراءة إلى النبى ﷺ لأن جنابه الرفيع لا يتجرأ عليه إلا بما أذن فيه كالصلاة عليه وسؤال الوسيلة له .

ورد عليه السبكى بأن مثل هذا لا يحتاج إلى إذن خاص ، فقد كان ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ يعتمر عنه ﷺ بعد موته من غير وصية ، ومن العلماء من استحبه لأن النبى ﷺ أحق بذلك حيث أنقذنا من الضلالة ، ففى ذلك نوع شكر وإسداء جميل له ، والكامل قابل لزيادة الكمال ، وما استدل به المانعون من أنه تحصيل حاصل لأن جميع أعمال أمته فى ميزانه .

وأجاب الشيخ أمين محمود خطاب(١) : بأنه لا مانع من ذلك ، فإن الله تعالى أخبرنا بأنه ﷺ قد أمرنا بالصلاة عليه ، وكذا اختلف فى إطلاق قول العامل : اللهم اجعل ذلك زيادة فى شرف النبى ﷺ فمنعه الحافظ ابن حجر لأنه لم يرد له دليل . وأجاب ابن حجر المكى فى الفتاوى الحديثية بأن قوله تعالى : ﴿**وقل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾(٢) .

وحديث مسلم أن النبى ﷺ كان يقول فى دعائه « واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير » دليل على أن مقامه ﷺ وكما له يقبل الزيادة فى العلم والثواب وسائر المراتب والدرجات .

## عادات يجب أن تزول

### ١ ـ الذبح للميت :

الذبح عند خروج الميت من باب الدار أو عند القبر ليس له أصل فى الدين بل

---

( ١ ) كتاب « الفتاوى الأمينيه » للشيخ أمين محمود خطاب .     ( ٢ ) طه : ١١٤ .

هو بدعة مذمومة ، نهى عنها النبى ﷺ ، لما أخرجه عبد الرزاق ( المصنف ) بسنده إلى أنس أن النبى ﷺ قال : « **لا عقر فى الإسلام** »(١) قال عبد الرازق : كانوا يعقرون عند القبر يعنى بقرة أو شاة .

فليحذر من هذه البدعة ما يفعله الجهال من حمل الخبز والخراف وغيرها أمام الجنازة ، وإنه ليقع بسبب ذلك تزاحم وضرب وإيذاء وعدم اعتبار بحال الميت وهذا مخالف للسنة من جوه :

١ ـ أن ذلك من فعل الجاهلية .

٢ ـ ما فيه من الرياء والسمعه والمباهاة والفخر ، ولو تصدق أهل الميت بذلك سراً لكان عملا صالحا إذا سلم من البدعة ، وعلى كل فلم يكن شىء من هذا من فعل من مضى ، والخير كله فى الاتباع وترك الابتداع(٢) .

**٢ ـ العتاقة :**

العتاقة بفتح العين مصدر عتق أى يمنحه الحرية ، ويعتقد بعض الجهال أنه يمكن عمل عتاقة للميت ، أى ما يعتق رقبته من النار ، ويعتقه مما عليه من حقوق الله والعباد ويكفر عنه الذنوب ، فيعمدون إلى تلاوة خاصة للقرآن باسم الختمة أو تلاوة : ﴿ **قل هو الله أحد** ﴾ عدداً خاصاً ، أو يذكرون كلمة التوحيد كذلك أو غيرها ، ويهبون ذلك للميت ، وقد يصنعون له ما يسمونه « إسقاط » الصلاة فيجمعون ما استطاعوا من الحلى والمعادن التى يبلغ ثمنها المئات ثم يجتمع بعض الفقهاء ، ويهبون هذه الأشياء لبعض الفقراء ثم يستردونها منهم ، ثم يهبونها لهم ويستردونها ، وهكذا تتم هذه التمثيلية المضحكة جملة مرات ، حتى تغطى قيمة الصلوات المتروكة للميت ، فى حال حياته ، زعما منهم أن بعض العلماء أجاز ذلك باعتبار أن كفارة الصلاة صاع أو نحوه ، وكل هذا بدع وضلاله، وانحراف عن هدى الإسلام ، لا يقره الشرع ، والإسلام منه برىء ، فلم يثبت هذا العمل فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسوله ﷺ ، ولم يجر عليه عمل الخلفاء

---

( ١ ) وأخرجه أبو داود والبيهقى والترمذى وقال : صحيح حسن ، وانظر « المنهل العذب المورود» : ص ٧٦ ج ٩ ، والبيهقى ( السنن ) : ج ٤ ص ٥٧ .

( ٢ ) المدخل لابن الحاج : ج ٣ ص ٣٥ .

الراشدين ، ولا الأئمة المجتهدين ، ولا السلف الصالحين ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، وهى مثل ما يصنعونه فى المأتم ، والخميس الصغير والكبير والأربعين والذكرى كل عام فكل ذلك ما أنزل الله به من سلطان ، ومعلوم أن الميت إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له »(١)

### ٣ ـ قراءة الفاتحة وهبة ثوابها للأموات والأولياء :

قراءة الفاتحة للأموات والأولياء وهبة ثوابها لهم ابتغاء مرضاة الله تعالى وبدون أجر نقدى أو مادى لا مانع منه ، إلا أن المواظبة عليها عند كل قبر خلاف المشروع فهى من المحدثات(٢) ، وأما قراءتها للأولياء بقصد حصول البركة مثلا للقارىء من الأولياء فمن البدع »(٣).

### ٤ ـ زخرفة القبور وتعليتها :

روى البخارى أن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ رأى فسطاطا « خيمة » على قبر عبد الرحمن فقال : انزعه يا غلام فإنما يظله عمله ، ولا يعرف فى دين الإسلام أن قبراً يكسى والذى هو فى دين الإسلام كسوه الكعبة ، وهى بيت الله وحرمه ، فلا يشبه بها القبر وهو بيت المخلوق .

وروى مسلم فى صحيحه عن جابر قال : « **نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه**»(٤) وزاد فى رواية أبى داود « وأن يكتب عليه » . .

وعن أبى الهياج الأسدى قال : « قال لى على بن أبى طالب : ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ ؟ ألا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته »(٥)

---

( ١ ) انظر الفتاوى الأمينيه والدين الخالص ، وفتاوى الشيخ محمود شلتوت ، وفيض القدير ج ١ ص ٤٣٧ .

( ٢ ) وانظر كتاب « الفتاوى الأمينية » وكتاب « فتاوى شرعية » للشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية السابق ، وكتاب « فتاوى الشيخ شلتوت » .

( ٣ ) سبل السلام للصنعانى : ج ١ ص ٢٨١ .

( ٤ ) صحيح مسلم ج٢ ص ٦٦٧ الحديث رقم ٩٧٠ .

( ٥ ) صحيح مسلم ، المرجع نفسه ص : ٦٦٦ الحديث رقم ٩٦٩ .

ومن بدع القبور أيضا اتخاذ الناس لها موسما من مواسمهم يشدون إليها الرحال كما تشد الرحال إلى المسجد الحرام أو المسجد النبوى ويبيتون عندها ، كذلك الذهاب للمقابر فى المواسم والأعياد الشرعية لعيد الفطر أو الأضحى ، بل إنهم زادوا فى الابتداع فجعلوا لغالب الأضرحة مواسم وأعياداً أسبوعية خلاف الموالد ، وتسمى هذه الأيام « بالحضرة » مثل ليلة الثلاثاء ويومه للإمام الحسين، وليلة السبت ويومه للإمام الشافعى .. وتلك البدع ما أنزل الله بها من سلطان ، بل إن الرسول ﷺ نهانا عن ذلك .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « **لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا علىَّ أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم** »(١) فإذا كان هذا بقبر إمام الأنبياء والرسل ، وهو أفضل القبور ، فما لنا بقبور من دونه .

والإسلام من قواعده الإصلاحية أن يسد بين أهله ذرائع الفساد ، وتطبيقا لهذه القاعدة صح عن النبى ﷺ أنه قال : « **إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، إنى أنهاكم عن ذلك**» نهى الرسول وشدد فى النهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد ، وذلك بقصد الصلاة إليها ، والصلاة عندها وأشار الرسول إلى أن ذلك كان سبباً فى انحراف الأمم السابقة عن إخلاص العبادة لله .

وقد قال العلماء : إنه لما كثر المسلمون ، وفكر أصحاب الرسول فى توسيع مسجده ، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت فيه بيوت أمهات المؤمنين ، وفيه حجرة عائشة رضى الله عنها وبها مدفن الرسول ﷺ وصاحبيه أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة تدور حوله مخافة أن تظهر القبور فى المسجد فيصلى الناس إليها ، ويقعوا فى الفتنة والمحظور .

كما أن الموتى يتأذون من الجلوس على المقابر ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر** »(٢) وإذا كان الرسول ﷺ قد أجاز زيارة القبور فإن لهذه الإجازة أسبابا ، ففيما قاله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى

---

( ١ ) رواه أبو داود .

( ٢ ) رواه مسلم والنسائى .

ﷺ « **إنى قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة** »(١).

كذلك من البدع المنتشرة الآن ايقاد الشموع على القبور والأضرحة فنهى عنه بنص الحديث الشريف فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج** »(٢)والشموع هنا فى الحديث كالسرج كذلك الطواف حول هذه الأضرحة ، واستقبالها بدعة نكراء ، وكذلك بناء القباب على قبور المشايخ وعمل التوابيت وكسوتها ، وتعليق المصابيح والقناديل عليها ، وكتابة الآيات القرآنية ، أو كتابة اسم المقبور .. فهى من الكبائر المنهى عنها .

وكذلك نذر النذور باسمهم منهى عنه ، لأن النذر لا يكون إلا لله وفى يقيننا أن المسلم لا يلزمه الوفاء به على هذا الشرط الفاسد ، ومن الواجب عليه أن ينفقه فى سبيل الله غير متقيد بشكل خاص .. وهو أشبه بالوقف الذى انقطعت جهته ويتحتم صرفه على الفقراء والمساكين .. وإذا صح أن يعذر أصحاب الصنيع بجهلهم ولا عذر فى دار الإسلام كما يقول الفقهاء فلا يصح أن نلتمس العذر للوعاظ والمرشدين وعلماء القرى والأمصار فيسكتون عن هذه البدع دون أن يحاربوها حربا شعواء ، ويقضوا عليها القضاء العاجل ، ولا سيما صناديق النذور التى تباركها وزارة الأوقاف ، وتجمع فيها هذه المحرمات لتوزعها بعد ذلك على سدنة المساجد وخدمها ممن لا تجوز عليهم الصدقة ، ولا تصرف لهم الزكاة .. وقد يقول قائل : إن هذا باب من أبواب البر إذا نحن أغلقناه لم يفتح سواه ، أو لم يستعض عنه بآخر ، وهو ناحية من نواحى البذل الذى لابد منه لصلاح حال الأفراد والجماعات . ومن اللائق أن ننظم إنفاقه والانتفاع به بدل أن نمنع ما يجى منه !

ونقول : إن الدين الإسلامى يهمه أولا وقبل كل شىء تصحيح الأوضاع لأنها فى ذاتها خير ، والعمل عليها بركة ، وإن كان الناس يقولون : العبرة بالنتائج ، فإن العبرة عنده بالمقدمات السليمة التى لا غبار عليها ، والوسائل التى لا تحوم حولها شبهة الباطل ﴿ **وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ** ﴾(٣) .

---

( ١ ) رواه أحمد . ( ٢ ) رواه أبو داود والترمذى .

( ٣ ) سورة النحل : الآية ٩ ، وانظر الكتاب الدعاء والقضاء والقدر تاليف د. محمد محمود أحمد ود. موسى الخطيب . ط مركز الكتاب للنشر .

فليتنبه المسلمون إلى ذلك وليسرع أولياء الأمور فى البلاد الإسلامية وخاصة مصر وعلماء الأزهر إلى الإسراع بإخلاص المساجد لله قال تعالى ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾(١) والله أعلم .

## ٥ ـ الحداد على الميت والتعزية ومنكراتها :

الإسلام دين الفطره ، ولذلك لما كانت عواطف المرأة أكثر استجابه للأحزان حدد لها الإسلام مدة الحداد بأن تحد على قريبها الميت مدة أقصاها ثلاثة أيام ما لم يمنعها زوجها ، ويحرم عليها أن تحد على ميت أكثر من ذلك ، أما إذا كان المتوفى زوجها نفسه فيكون الحداد مدة العدة ، وهى أربعة أشهر وعشرة أيام ، ودليل ذلك ما رواه البخارى وغيره ، أن رسول الله ﷺ قال : « **لا يجوز لامرأة تؤمن با لله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً** » .

والإحداد هو ترك ما تتزين به المرأة من الحلى والكحل والحرير والطيب وما إلى ذلك . وقد كانت المرأة فيما مضى محافظة على ما جاءت به السنة فهى تتعمد فعل ما ينهى الحداد بعد أيامه الثلاث التى أشار إليها الحديث ، فقد روى البخارى فى صحيحه :

١ ـ عن زينب ابنة أبى سلمة قالت : دخلت على أم حبيبة زوج النبى ﷺ حين توفى أبوها أبو سفيان بن حرب ، فدعت أم حبيبة بطيب فدهنت منه جارية ، ثم مست بعارضيها ثم قالت : والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال .... الحديث** » .

٢ ـ وعنها أيضا أنها قالت : « دخلت على زينب ابنة جحش حين توفى أخوها فدعت بطيب فمسحت منه ثم قالت : أما والله مالى بالطيب من حاجة غير أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « **لا يحل لا مرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال .. الحديث** » .

وفى حاله وفاة الزوج يستمر إحداد المرأة حتى نهاية مدتها بعد أربعة أشهر وعشرة أيام فقد روى البخارى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : جاءت امرأة إلى

---

( ١ ) سورة الجن : الآية ١٨ .

رسـول الله ﷺ فقـالـت : يا رسـول الله : إن ابـنتى توفى عنهـا زوجهـا ، وقد اشـتكت عيـنها ، أفـتكحلها ؟ فـقال رسـول الله ﷺ : لا ، مرتين أو ثلاثة كل ذلك يـقول لا ، ثم قال رسـول الله ﷺ : « إلا إنما هـى أربعة أشـهر وعشـراً » .. الحديث .

أما بالنسبـة لارتداء الملابس السـوداء دليلاً على الحزن فـإن الإسلام لـم يجعل للأحـزان لباسـا خـاصـا ترتديه النسـاء لإظـهـار حـزنهن وكـذلك الأمـر بـالنسـبـة للرجال.

أما بالـنسبة للسـرادقات التى تقـام للقراء واسـتئـجار القـراء لقراءة القرآن فى هـذه المجامع ، فهو عمل لا يخلو من الوزر والحمق ، فإن السنة أن يعزى المرء أهل الميت ثم ينصرف دون أن يجلس .

يقـول صـاحب فـقـه السنه[1]: « ومـا يفـعلـه بعض الناس اليـوم من الاجـتـمـاع للتـعزية ، وإقـامة السـرادقات ، وفـرش البـسط ، وصـرف الأمـوال الطائلة من أجل المبـاهاة والمفـاخـرة من الأمـور المحـدثة والبـدع المنكـرة التى يجب على المسـلمين اجتنابهـا ، ويحـرم عليهـم فعلتهـا ، لا سيمـا وأنه يقع فيهـا كثيـر مما يخالف هـدى الكتاب ويـنـاقض تعاليم السـنة ، ويسـيـر وفق عادات الجـاهلية ، كـالتغنى بالقرآن ، وعدم التزام آداب التلاوة ، وترك الإنصـات والتشاغل عنه بشـرب الدخـان وغيره ، ولـم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تجاوزه عند كثير من ذوى الأهـواء ، فـلم يكتفوا بالأيام الأول ، بـل جـعـلـوا يوم الأربعين يـوم تجـود لـهـذه المـنكرات وإعـادة لهـذه البـدع، وجعلوا ذكرى أولى بمـناسبة مرور عام على الوفـاة وذكرى ثانية ، وهكذا مما لا يتـفق مع عقل ولا نقل » ؟؟ فـيـا مسـلمين ، عليكـم بكتاب الله تعـالى وسـنة نبيه محمد ﷺ .

## ٦ ـ ذكرى الأربعين :

نشـرت جـريدة الأهـرام ، الكلمـة التـاليـة ، تحت عـنوان « لا سنة حسـنة » فى عـددها الصـادر يوم الأحـد التـاسـع من رمـضـان سـنة ١٣٦٦ هــ ، والموافق ٢٧ من يوليو / تموز ١٩٤٧ م.

« لقد ابتلانى الله تعـالى بفقد ولدى(١) فصـبرت ، واقتطعت منى فلذة كـبدى

---

( ١ ) انظر كـتاب « فـتـاوى شرعية » لفـضـيلة المرحوم الشـيخ حسـنين مـخـلوف مفـتى الديار المصرية السابق .

فما تبرمت ، فلله تعالى الحمد على نعمة الرضا بالقضاء ، ومنه وحده المثوبة وعظيم الجزاء ، على البلاء وعلى الصبر على البلاء .

وقد تساءل أصدقائى عن ليلة الأربعين المعتادة وإحيائها فأخبرتهم أن إحياءها على النحو المتبع بدعة مذمومة ، لا أصل لها فى الدين ، وإنى مكتف فيها وفى غيرها من الأيام بينى وبين ربى من عمل يرجى ثوابه بمشيئة الله تعالى » أهـ .

ولقد أصاب الشيخ رحمه الله فى فتواه كل الصواب لأن كل عمل ليس له أصل فى الدين فهو بدعة منكرة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، وليس فى الإسلام بدعة حسنة !.

### ٧ ـ التسول بالقرآن :

إذا كان التسول بالوضع الذى تراه اليوم يمقته فى ذاته الشرع والدين وتأباه الكرامة والخلق ، ولا ترضاه لنفسها أمة تريد المجد ، فما بالنا به إذا اتخذ القرآن الكريم وسيلة له ، واعترض به المارة فى الطرقات والمسلمين فى المساجد والراكبين فى وسائل المواصلات من سيارات وقطارات وغيرها .

علينا أن نبذل قصارى جهدنا لصيانة كتاب الله عن الابتذال ، ومحاربة هذه البدعة المنكرة ، وأن نوجه الناس إلى الانتفاع بالقرآن الكريم وإلى ما يحفظ كرامتنا ، وينهض بنا بين الأمم عن طريق الأسباب التى وضعها سبيلا للمجد والكرامة .

***

## الفصل الثالث

## القبر مثوى الحياة البرزخية

البرزخ فى كلام العرب الحاجز بين الشيئين ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ بينهما برزخا ﴾[1] أى حاجزاً ، قوله تعالى : ﴿ ومن ورائهم برزخ ﴾ أى من أمامهم ومن بين أيديهم ، روى هناد بن السرى قال : حدثنا محمد بن فضيل ووكيع عن فطر قال : سألت مجاهداً عن قول الله تعالى ﴿ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يبعثون ﴾[2] قال : هو ما بين الموت والبعث وقيل للشعبى : مات فلان قال : «ليس هو فى الدنيا ولا فى الآخرة هو فى برزخ ».

فالبرزخ حياة ثانية تتوسط حياتين : حياة دنيوية تبدأ بالولاة وتنتهى بالوفاة وحياة أخروية تبدأ بالنفخ والبعث والنشور وتنتهى بالحساب والثواب وبالنعيم أو العذاب .

إذن فحياة البرزخ تبدأ من لحظة الوفاة إلى وقت النفخة الأولى حيث يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون .

هذه الحياة البرزخية ليست ومضة عابرة أو فترة قصيرة بل هى حياة بكل ما تحتمله ، وبكل ما تحمله كلمة حياة من معانى وأجواء ، وفيها حساب وفيها نعيم وفيها مساءلة .

وحياة البرزخ ليست امتدادا للحياة الدنيا ، فهى مغايرة لها ، وليست على شاكلتها ، فما رجع أحد من الحياة البرزخية إلى دنيانا حتى يكون شاهد صدق على أنها امتداد دنيوى وهى أيضا ليست الحياة الأخروية لأن الحياة الأخروية لها ميقات وأشراط وعلامات مازالت فى علم العليم الحكيم . قال تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة ﴾ . فالحياة البرزخية إذن حياة بين حياتين ... حياة فيها حياة .. تحلل فيها الميت من عتمته وظلامه وطينيته ودخل منطقة الروح والحق والنور ، فرأى فيها ما حجب عنه فى دنياه وأبصر ما غطى عليه ، وعلم فيها ما كان وما سيكون قال تعالى : ﴿ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ .

ورأى منها مكانه فى العالم الأخروى ومكانته يوم القيامة مصداقا لقول

---

( ١ ) الفرقان : الآية : ٥٣ .

( ٢ ) المؤمنون : الآية ١٠٠ .

رسول الله ﷺ : « ما من عبد ينزل فى قبره إلا ويعرف مكانه فى الآخرة أشقى أم سعيد » .

جاء فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم(١) إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا النبى محمد ؟ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، قال النبى ﷺ فيراهما جميعا ، وأما الكافر أو المنافق فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال : لا دريت(٢) ولا تليت ، ويضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحه يسمعها من يليه إلا الثقلين(٣).

فى الحياة البرزخية صديقون وشهداء أحياء فى قبورهم وفيها جاحدون كافرون معذبون فى رمسهم .

وفيها رسل الله من ملائكة وأنبياء يعيشون فى أجوائها يسمعون ويرون ويحسون ويشعرون .

فالأنبياء أحياء فى قبورهم .. يحيون حياة برزخية وقد التقى بهم رسول الله ﷺ ليلة أسرى به وتحدث معهم وصلى بهم .

يقول الرسول ﷺ : « ليلة أن أسرى بى التقيت فى السماء بإبراهيم فقال لى: يا محمد أقرىء أمتك منى السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان(٤) وأن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر .

والتقى بآدم .

والتقى بموسى وهارون وداود وسليمان وإدريس ويحيى وعيسى .

ورأى ملك الدمع الذى يبكى خطايا المذنبين .

ورأى ملائكة فى هيئات مختلفة وأحجام متباينة .

وفى البرزخ شاهد رسول الله ﷺ الكثير من المشاهد البرزخية .. رأى منازل ودرجات العابدين العاملين .. ورأى دركات المخالفين المعاندين الذين خالفوا التعاليم الإلهية ، أو تهاونوا فيها أو تثاقلوا عنها ..

---

(١) أحذيتهم . (٢) لا علمت ولا نطقت . (٣) الإنس والجن . (٤) أرض مستوية .

إذن فالرسول محمد ﷺ وكذلك سائر الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، أحياء فى برزخهم حياة لا يعلم كنهها إلا الله .. حياة كحياة هؤلاء الشهداء الذين قال الله فيهم : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(١).

وقال الله تعالى : ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ** ﴾(٢).

يقول(٣) الإمام القشيرى : فأخبر سبحانه أن الشهداء أحياء عند ربهم، فالأنبياء أولى بذلك لتقاصر رتبة الكافة عن درجة النبوة .

قال الله تعالى : ﴿ **فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ** ﴾ ( آية ٦٩ ـ النساء ).

فرتبة الشهادة ثالث درجة النبوة ، ولقد وردت الأخبار الصحيحة والآثار المروية بما يدل على هذه الجملة .

ثم أورد الإمام القشيرى جملة من الأحاديث يثبت بها ما رآه منها : عن عبد الله بن مسعود : عن النبى ﷺ قال : « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغوننى عن أمتى السلام »(٤).

يقول الإمام القشيرى تعليقا على هذا الحديث : « ولا يبلغ السلام إلا ويكون حيا » ويروى الإمام القشيرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « **من صلى على عند قبرى سمعته ، ومن صلى على نائيا أبلغته** ».

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة ، فإنه مشهود تشهده الملائكة ، وإن أحداً لن يصلى علىّ إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ منها** » قال : قلت : وبعد الموت ؟

قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل جسد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

( ١ ) من سورة آل عمران آية : ١٧٠ .　　( ٢ ) آية ١٥٤ من سورة البقرة .
( ٣ ) ص ٨٧ من كتاب الإسراء والمعراج للدكتور عبد الحليم محمود .
( ٤ ) رواه أحمد والنسائى وابن حبان والحاكم . صحيح الجامع ( ٢١٧٠ ).

فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن فى القبر وإشراف عليه وتعلق به بحيث تعرض عليه صلاة من صلى عليه ، ويرد سلام من سلم عليه وهى فى الرفيق الأعلى .

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم فى نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان ، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا فى البرزخ بل أعظم ، فإن تجرد الروح هنالك أكمل وأقوى وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الإنقطاع ، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح ظاهراً أبديا أصلا .

ومتى أعطيت هذا الموضوع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل ، وأنه حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين فى فرش واحد ، وهذا روحه فى النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه ، وهذا روحه فى العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر ، فأمر البرزخ أعجب من ذلك » .

إن حياة البرزخ من الأمور الغيبية .. وهو ما يعبر عنه بالسمعيات وهى محك الإيمان ، فمن يؤمن بما غاب عنه إيمانا مطلقا عميقا أقوى من غير شك من هذا الذى لا يؤمن إلا بالمعاينة والمشاهدة .

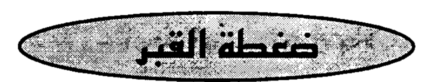
والسمعيات يراد بها : ما يأتى العلم به عن طريق السماع من رسول الله ﷺ ، أو عن رسول الله ، أو من الآثار والأخبار الصحيحة التى رويت عن صحابة رسول الله ﷺ وعن السلف الصالح .

والعقل فى هذا المجال السمعى الغيبى لا مدخل له ولا مكان فهى أمور تعز على العقل وعلى التصور وعلى الخيال وعلى البال . وفى إيمان عميق واعتقاد

متين مكين نواجه بالموت .. وبما بعد الموت . نؤمن بالأيام الأخروية وبالحياة البرزخية .. وبعذاب القبر ونعيمه .. نؤمن فى ثقة لا يشوبها شك أو وهم أو ارتياب فى السمعيات والغيبيات مرددين ما ورد .. موقنين به ... مؤمنين بأن هذه السمعيات بعيدة عن عقول البشر .. موقنين بالغيب إيقاننا بواقعنا .

وصدق رسول الله ﷺ فى كل ما أخبر به عن هذه الأمور الغيبية .

***



## ضغطة القبر أو ضمة القبر :

هى : التقاء جانبيه على جسد الميت ، قال الحكيم الترمذى : « سبب هذه الضغطة أنه ما من أحد إلا وقد ألم بخطيئة ما ، حتى وإن كان صالحا فجعلت لهم هذه الضغطة جزاء لها ، ثم تدركه الرحمة ، أما الأنبياء ، فلا نعلم أن لهم فى القبور ضمة ولا سؤالا ، وذلك لعصمتهم ».

ويعلل الإمام « محمد التيمى » ضمة القبر - فيما يرويه عنه ابن أبى الدنيا - فيقول : « إن ضمة القبر ، إنما أصلها أن الأرض أمهم ، ومنها خلقوا ، فغابوا عنها الغيبة الطويلة ، فلما رد إليها أولادها ضمتهم ضم الوالدة غاب عنها ولدها ثم قدم عليها ، فمن كان لله مطيعا ضمته برأفة ورفق ، ومن كان عاصيا ضمته بعنف سخطا منها عليه لربها » .

وأخرج البيهقى وابن مندة ، والديلمى وابن النجار عن سعيد بن المسيب أن عائشة - رضى الله عنها - قالت : يا رسول الله ، إنك منذ يوم حدثتنى بصوت منكر ونكير وضغطة القبر ليس ينفعنى شىء قال : « يا عائشة إن أصوات منكر ونكيرفى أسماع المؤمنين كالأثمد(١) فى العين ،وإن ضغطة القبر على المؤمن كالأم الشفيقة يشكو إليها ابنها الصداع فتغمز رأسه غمزاً رفيقا ، ولكن يا عائشة . ويل للشاكين فى الله كيف يضغطون فى قبورهم كضغطة الصخرة على البيضة .

قال السبكى فى بحر الكلام : المؤمن المطيع ، لا يكون له عذاب القبر ، ويكون له ضغطة القبر ، فيجد هول ذلك وخوفه ، لما أنه تنعم بنعمة الله ولم يشكر النعمة .وقال أبو القاسم السعدى فى كتابه « الروح » : « والفرق بين المسلم والكافر فى ضغطة القبر ودوامها للكافر ، وحصولها للمؤمن فى أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الانفساح له ، ولا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح إلا من استثناه النبى ﷺ من هؤلاء وهم :

١ - الأنبياء ... قال الحكيم الترمذى : وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلا نعلم أن لهم فى القبور ضمة ولا سؤالا لعصمتهم كما تقدم .

---

( ١ ) الأثمد الكحل فى العين .

٢ ـ من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فى مرضه الذى يموت فيه كما قال عليه الصلاة والسلام فى حديثه الذى رواه أبو نعيم فى الحليه عن عبدالله بن الشخير : من قرأ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فى مرضه الذى يموت فيه ، لم يفتن فى قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى باب الجنة .

٣ ـ فاطمة بنت أسد بن هاشم ، أم « على بن أبى طالب » رضى الله عنهما وذلك لأنها ضمت المصطفى ﷺ عن جابر بن عبدالله قال : بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ أتاه آت فقال يا رسول الله إن أم على وجعفر وعقيل قد ماتت ، فقال رسول الله ﷺ « قوموا إلى أمى فقمنا وكأن على رءوس من معه الطير ، فلما انتهينا إلى الباب نزع قميصه فقال : إذا غسلتموها فأشعروها[١] إياه تحت أكفانها » فلما خرجوا بها جعل رسول الله ﷺ مرة يحمل ، ومرة يتقدم ، ومرة يتأخر حتى انتهينا إلى القبر فتمعك فى اللحد ثم خرج فقال : أدخلوها باسم الله ، وعلى اسم الله فلما دفنوها قام قائما فقال : جزاك الله من أم وربيبة خيراً فنعم الأم ونعم الربيبة كنت لى فقلنا : يا رسول الله لقد صنعت شيئين ما رأيناك صنعت مثلهما . قال : ما هما ؟ قلنا : نزعك قميصك وأمعكك فى اللحد . قال : «أما قميصى فأريد ألا تمسها النار أبداً إن شاء الله تعالى ، وأما تمعكى فى اللحد فأردت أن يوسع الله عليها فى القبر » .

وقال مجاهد : « أشد حديث سمعناه عن النبى ﷺ « ما عفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد ، فقيل : يا رسول الله : ولا القاسم ابنك ، قال : ولا إبراهيم » قال جلال السيوطى رحمه الله نظماً :

| | |
|---|---|
| وضمة القبر وليس من أحد | يسلم منها ما عدا بنت أسد |
| فاطمة ومن لإخلاص قرأ | فى مرض الموت كما قد ذكرا |
| ويضغط الميت ضغطة تزول | منها الخمائل كما قال الرسول |

ويروى عنه ﷺ أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم فى المدينة سكب عليها الماء الذى فيه الكافور وألبسها قميصه واضطجع فى قبرها وقال : « الحمد لله

---

( ١ ) أشعروها إياه : أى ألبسوها قميصى وأجعلوه على جسدها شعاراً لها لأن الشعار (بكسر الشين ) من اللباس ما يلى شعر الجسد بخلاف الدثار ( بكسر الدال ) فإنه يلبس فوق الشعار .

الذى يحيى ويميت وهو حى لا يموت ، اللهم اغفر لأمى فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها ».

وعن حذيفة(1) رضى اللهعنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة ، فلما انتهينا إلى القبر قعد على شفيره فجعل يردد بصره فيه ، ثم قال : يضغط فيه المؤمن ضغطة تزول منها حمائله(2) وقالت عائشة رضى الله عنها : « إن للقبر ضغطة لو كان أحد منها ناجيا لنجا منها « سعد بن معاذ » .

وعن جابر(3) رضى الله عنه قال : « لما دفن سعد بن معاذ رضى الله عنه سبح رسول الله ﷺ وسبح الناس معه طويلا ثم كبر وكبر الناس ، ثم قالوا : يا رسول الله ، لم سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا الرجل الصالح قبره حتى فرج الله عنه وقال ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى ﷺ لما دفن سعد بن معاذ وهو قاعد على قبره قال : « لو نجا من ضمة القبر أحد لنجا سعد بن معاذ ، ولقد ضم ضمة ثم أرخى عنه ».

وروى البيهقى عن عبدالله بن عمر - رضى الله عنهما - عن رسول الله ﷺ قال: « هذا الذى تحرك له العرش ، فتحت له أبواب السماء ، وشهده سبعون ألفا من الملائكة - لقد ضُم ضمة ثم فرج عنه » (4) ، يعنى سعد بن معاذ : قال الحسن رضى الله عنه : تحرك له العرش فرحا بروحه .

وأخرج الحكيم الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دخل رسول الله ﷺ قبر سعد بن معاذ فاحتبس(5) فلما خرج قيل : يا رسول الله ما حبسك ؟ قال: لقد ضم سعد فى القبر ضمة فدعوت الله أن يكشف عنه » .

وأخرج البيهقى من طريق ابن اسحاق عن أمية بن عبد الله أنه سئل بعض أهل سعد ، مابلغكم من قول رسول الله ﷺ فى هذا ؟ فقالوا : ذكر لنا رسول الله ﷺ سئل عن ذلك فقال : « كان يقصر فى بعض الطهور من البول ».

---

( 1 ) رواه أحمد والترمذى والبيهقى .
( 2 ) الخمائل : يراد بها هنا - كما جاء فى كتاب النهاية لابن الأثير : عروق الأنثيين ، ويصح أن يراد بها أيضا موضع خمائل السيف أى عاتق الميت وأضلاعه وصدره .
( 3 ) رواه أحمد والترمذى والطبرانى والبيهقى .
( 4 ) رواه البخارى ومسلم والنسائى .
( 5 ) تأخر فى الخروج منه .

وروى الطبرانى عن أنس قال : توفيت زينب بنت رسول الله ﷺ فخرجنا معه فرأيناه مهتما(١) شديد الحزن فقعد على القبر هنيهة(٢) وجعل ينظر إلى السماء، ثم نزل فيه ، فرأيته يزداد حزنا ، ثم خرج فرأيته سرى(٣) عنه وتبسم ، فسألناه ، فقال : « كنت أذكر ضيق القبر وغمه وضعف زينب ، فكان ذلك يشق علىَّ فدعوت الله أن يخفف عنها ففعل ، ولكن ضغطها ضغطة سمعها من بين الخافقين(٤) إلا الإنس والجن .

وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى الدنيا عن زاوان أن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لما دفن رسول الله ﷺ ابنته رقية - رضى الله عنها - جلس عند القبر ، فاربد وجهه(٥) ثم سرى عنه فسأله أصحابه عن ذلك فقال : ذكرت ابنتى وضعفها وعذاب القبر ، فدعوت الله ، ففرج عنها ، وأيم الله(٦)لقد ضُمت ضمة ، سمعها ما بين الخافقين » .

وروى ابن عساكر أن نافعا مولى ابن عمر ، لما حضرته الوفاة جعل يبكى فقيل له : ما يبكيك ؟ فقال : ذكرت سعداً وضغطة القبر .

قال يزيد الرقاشى فيما يرويه ابن أبى الدنيا : بلغنى أن الميت إذا وضع فى قبره احتوشته(٧) أعماله ثم أنطقها الله تعالى . فقالت : أيها العبد المنفرد فى حفرته ، انقطع عنك الأخلاء والأهلون ، فلا أنيس لك اليوم غيرنا ( أخرجه الخطيب فى تاريخه ) .

وروى عن عطاء بن يسار قال : إذا وضع الميت فى لحده ، فأول شىء يأتيه عمله ، فيضرب فخذه الشمال ، فيقول : أنا عملك ، فيقول : أين أهلى وولدى وعشيرتى وما خولنى الله تعالى ؟ فيقول : تركت أهلك وولدك وعشيرتك وماخولك الله وراء ظهرك ، فلم يدخل قبرك معك غيرى ، فيقول : يا ليتنى آثرتك على أهلى وولدى وعشيرتى وما خولنى الله تعالى إذ لم يدخل معى غيرك(٨).

وروى أحمد بن أبى الحوارى أن إبراهيم بن الفضل حدثه عن أبى المليح الرقى

---

( ١ ) مغتما محزونا . ( ٢ )قليلا من الزمان . ( ٣ ) كشف عنه الحزن .
( ٤ ) الخافقان : طرفا السماء والأرض وقيل المشرق والمغرب .
( ٥ ) تغير لون وجهه إلى الغبرة .
( ٦ ) قسم بالله . ( ٧ ) احاطت به .
( ٨ ) وانظر شرح الصدور للسيوطى : ص ١٥٢ .

قال : إذا أدخل ابن آدم فى قبره لم يبق شىء كان يخافه فى الدنيا دون الله عز وجل إلا تمثل له يفزعه فى لحده ، لأنه كان فى الدنيا يخافه دون الله عز وجل.

**فائده :**(١).

قال بعض العلماء : من فعل سيئة فإن عقوبتها تدفع عنه بعشرة أسباب :

١ - أن يتوب فيتاب عليه .

٢ - أو يستغفر فيغفر له .

٣ - أو يعمل حسنات فتمحوها ، فإن الحسنات يذهبن السيئات .

٤ - أو يبتلى فى الدنيا بمصائب فتكفر عنه .

٥ - أو فى البرزخ بالضغطة والفتنه فتكفر عنه .

٦ - أو يدعو له إخوانه من المؤمنين ويستغفرون له .

٧ - أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه .

٨ - أو يبتلى فى عرصات(٢) القيامة بأهوال تكفر عنه .

٩ - أو تدركه شفاعة نبيه .

١٠ - أو رحمة ربه ( أ . هـ ) .

## سؤال القبر وفتنة الملكين :

وسؤال القبر حق يكفر من أنكره ، إذ قد ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ فأصبح ذلك من الأمور الثابتة فى الدين المعلومة بالضرورة ، وكل من أنكر ما علم من الدين بالضرورة فهو غير مؤمن .

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل إنسان بعد موته ، قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف فى الهواء ، أو غرق فى البحر لسئل عن أعماله ، وجوزى بالخير خيراً وبالشر شراً ، وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معاً ، قال ابن القيم : مذهب سلف الأمة وأئمتها : أن الميت إذا مات ، يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن ، منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد ،

---

( ١ ) شرح الصدور للسيوطى : ص ١٥٢ .

( ٢ ) العرصات : جمع عرصه وهى كل موضع واسع لا بناء فيه .

وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

وقال المروزى : قال أبو عبد الله ـ يعنى الإمام أحمد ـ : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل . وقال حنبل : قلت لأبى عبدالله فى عذاب القبر . فقال : هذه أحاديث صحاح نؤمن بها ونقر بها ، وكل ما جاء عن النبى ﷺ بإسناد جيد أقررنا به، فإنا إذا لم نقر بما جاء به رسول الله ﷺ . ودفعناه ورددناه ، رددنا على الله أمره ، قال الله تعالى : ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ . قلت له : وعذاب القبر حق؟ قال : حق . يعذبون فى القبور . قال : وسمعت أبا عبد الله يقول : نؤمن بعذاب القبر ، وبمنكر ونكير ، وأن العبد يسأل فى قبره : فـ ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ فى القبر .

وقال أحمد بن القاسم : قلت : يا أبا عبدالله ، تقر بمنكر ونكير ، وما يروى فى عذاب القبر ؟ فقال : سبحان الله ... نعم نقر بذلك ونقوله . قلت هذه اللفظة تقول : منكر ونكير هكذا . أو تقول : ملكين ؟ قال منكر ونكير . قلت : يقولون : ليس فى حديث منكر ونكير . قال : هو هكذا يعنى أنهما منكر ونكير .

قال الحافظ فى الفتح : وذهب أحمد بن حزم وابن هبيرة إلى أن السؤال يقع على الروح فقط ، من غير عود إلى الجسد . وخالفهم الجمهور فقالوا : تعاد الروح إلى الجسد أو بعضه كما ثبت فى الحديث ، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن بذلك اختصاص ، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاؤه لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه . والحامل للقائلين بأن السؤال يقع على الروح فقط ، أن الميت قد يشاهد فى قبره حال المسألة لا أثر فيه ، من إقعاد ولا غيره ولا ضيق فى قبره ولا سعة ، وكذلك غيرالمقبور كالمصلوب . وجوابهم أن ذلك غير ممتنع فى القدرة بل له نظير فى العادة ، وهو النائم . فإنه يجد لذة ، وألما ، لا يدركه جليسه ، بل اليقظان قد يدرك ألماً ولذة لما يسمعه أو يفكر فيه ، ولا يدرك ذلك جليسه وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد ، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله ، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم ، إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا ؛ وليست للجوارح الدنيوية قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله . وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور ، كقوله

«إنه ليسمع خفق نعالهم » وقوله : « تختلف أضلاعه لضمة القبر » ، وقوله : «يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق » ، وقوله : « يضرب بين أذنيه » ، وقوله : «فيقعدانه » وكل ذلك من صفات الأجساد .

ونحن نذكر بعض ما ورد فى ذلك من الأحاديث الصحيحة :

١ ـ وروى البخارى ومسلم عن قتادة عن أنس : أن النبى ﷺ قال : « إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ ـ لمحمد ـ فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله . قال فيقولان : انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعاً . وأما الكافر ، والمنافق ، فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس . فيقولان : لا دريت ولا تليت(١) ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة فيسمعها من يليه ، غير الثقلين »(٢).

٢ ـ وروى البخارى ومسلم وأصحاب السنن عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال : « المسلم إذا سئل فى قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قول الله : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ ، وفى لفظ : نزلت فى عذاب القبر . يقال له : من ربك ؟ فيقول : الله ربى ومحمد نبيى ، فذلك قول الله : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾(٣) .

٣ ـ وفى مسند الإمام أحمد وصحيح أبى حاتم أن النبى ﷺ قال : « إن الميت إذا وضع فى قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه : فإن كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة ، والصلة ، والمعروف والإحسان عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه ،

---

( ١ ) لا دريت ولا تليت ، دعاء عليه : أى لا كنت دارياً ولا تالياً . أو إخبار بحاله فإنه لم يكن قد علم بنفسه ولا سأل غيره من العلماء .

( ٢ ) الحديث أخرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة عن أنس رضى الله عنه : البخارى : فى الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر ( ١٣٧٤ ) ، والألبانى فى مختصره للبخارى ( ١ / ٣١٤ ، ٣١٥ ) ومسلم كتاب الجنة مختصراً ( ٢٨٧٠ ) ( ٧٠ ) باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه .

( ٣ ) سيأتى تخريجه مفصلا.

فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى من يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى من يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلى مدخل . ثم يؤتى من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان : ما قبلى مدخل . فيقال له : اجلس فيجلس ، قد مثلت له الشمس وقد أخذت للغروب ، فيقال له : هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول: دعونى حتى أصلى ، فيقولان : إنك ستصلى ، أخبرنا عما نسألك عنه ؟ أرأيتك[1] هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟

وما تشهد به عليه ، فيقول : محمد . أشهد أنه رسول الله جاء بالحق من عند الله ، فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مت . وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ، ثم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها . فيزداد غبطة وسروراً ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً وينور له فيه ، ويعاد الجسد لما بدىء منه وتجعل نسمته[2] فى النسم الطيب . وهى طير معلق فى شجر الجنة ، قال : فذلك قول الله تعالى : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ . وذكر فى الكافر ضد ذلك إلى أن قال : ثم يضيق عليه فى قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه . فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى : ﴿ **فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ .

٤ ـ وأخرج ابن أبى شيبة والبخارى ، عن أسماء بنت أبى بكر ـ رضى الله عنهما ـ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنه قد أوحى إلى أنكم تفتتنون فى القبور ، فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن . فيقول : هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبنا واتبعنا فيقال له : قد علمنا إن كنت لمؤمنا ، ثم صالحا ، وأما المنافق أو المرتاب فيقول : ما أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته (٣).

---

( ١ ) أرأيتك : أخبرنا .

( ٢ ) نسمته : روحه .

( ٣ ) أخرجه الشيخان : البخارى ومسلم فى كتاب الوضوء ، وأورده الألبانى فى مختصره للبخارى (١/٥٨-٥٩ ) ، مسلم فى كتاب الكسوف (٩٠٥)(١١) باب ما عرض على النبى ﷺ من أمر الجنة والنار ، والنسائى بنحوه ( ٤/١٠٣، ١٠٤ ).

٥ - وأخرج الترمذى وحسنه والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال(١) : قال رسول الله ﷺ : « إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقا يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : ما كان يقول هو عبدالله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول هذا ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، ثم ينور له فيه فيقال له : نم فيقول : ارجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقولون له : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك - فإن كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون ،فقلت مثله ، لا أدرى فيقولون : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمى عليه ، فتلتئم عليه ، فتختلف(٢) أضلاعه ، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك » .

٦ - وأخرج أبو النعيم والبيهقى عن عطاء بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب - رضى الله عنه - « يا عمر ، كيف بك إذا مت ، فقاسوا لك ثلاثة أذرع وشبراً فى ذراع وشبر ، ثم رجعوا إليك وغسلوك وكفنوك وحنطوك ، ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ، ثم يهيلوا عليك التراب ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتانا القبر : منكر ونكير ، أصواتهما كالرعد القاصف ، وأبصارهما كالبرق الخاطف ، فتلتلاك ، وثرثراك ، وهولاك ، فكيف بك عند ذلك يا عمر ؟ قال يا رسول الله ومعى عقلى ؟ قال : نعم . قال : إذن أكفيكهما ( مرسل رجاله ثقات ) قال فى الصحاح : تلتله : أى زعزعه وأقلقه وزلزله ، وهو بمثناتين . والثرثرة : بمثلثتين : كثرة الكلام وترديده ، والتهويل : التقريع .

٧ - وفى رواية أبى داود والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، وما منكر ونكير ؟ قال : « فتانا القبر(٣) يحتان(٤) الأرض بأنيابهما ويطأن فى أشعارهما(٥) ، أصواتهما كالرعد القاصف . وأبصارهما

---

( ١ ) أخرجه الترمذى ( ١٠٧١ ) كتاب الجنائز - باب ما جاء فى عذاب القبر ، وابن حبان ( ٧٨٠- موارد ) ، وابن أبى عاصم فى السنة ( ٨٦٤ ) ، وقال الترمذى : حسن غريب ، وحسنه الألبانى فى ظلال الجنة ( ٨٦٤ ) وقال فى صحيحه( ١٣٩١ ) : إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات رجال مسلم .

( ٢ ) ينصرف كل منها عن الآخر ، كناية عن شدة الضغط .

( ٣ ) هما منكر ونكير .

( ٤ ) يحتان الأرض بأنيابهما لشدة طولهما .

( ٥ ) اشتد طول أشعارهما فبلغ الأرض حتى إن الواحد منهما ليدوس على شعره وهو يمشى فى طريقه .

كالبرق الخاطف ، معهما مرزبة[1] لو اجتمع عليها أهل منى لم يطيقوا رفعها هى أيسر عليهما من عصاى هذه ، فامتحناك ، فإن تعاييت[2] أو ناويت[3] ضرباك بها ضربة تصير بها رماداً قلت : يا رسول الله وأنا على حالى هذه ؟ قال : نعم قال : إذن أكفيكهما .

وفى رواية قال عمر : أترد علينا عقولنا يا رسول الله فقال ﷺ : « نعم كهيأتكم اليوم » .

وقد يسأل سائل : ما الحكمة عند سؤال الميت بعد أن عرف منزلته ، وبعد أن بان له الحق وظهر له ما جنت يداه ،وبعد أن سبق فى علم الله إيقان المؤمن وإيمانه، وانحراف الكافر وجنوحه بدليل قوله ﷺ فى الحديث السابق « قد علمنا أن كنت لموقنا » ؟

والجواب : إن الحكمة من سؤال القبر هو إظهار عدالة الله التى تقيم الحساب وتنصب الميزان على الرغم من وضوح الرؤية وانكشاف الحق .

وقال الحكيم الترمذى عن « منكر ونكير » إنما سُميا ( فتانى القبر ) لأن فى سؤالهما انتهاراً ، وفى خلقهما صعوبة ، لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ، ولا خلق الملائكة ، ولا خلق الهوام ، بل هما خلق غريب ، ليس فى خلقهما أنس للناظرين إليهما ، وجعلهما الله سبحانه وتعالى تكرمة للمؤمن لتثبته وتبصره ، وهتكا لستر المنافق فى البرزخ ».

وسؤال القبر عام للإنس والجن لأنهم خلق مكلفون مثلنا قال تعالى ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾[4] وأن الذى يطيع منهم ربه وخالقه ويؤمن به يدخل الجنة وينعم فيها كالإنس ـ قال تعالى : ﴿ **وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ** ﴾[5] .

وقد قال الرسول ﷺ لأصحابه لما تلا عليهم سورة الرحمن : « الجن كانوا أحسن رداً أو جوابا منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا : ولا شىء من آلاء ربنا نكذب » قال العلماء : وهذه الآية : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنةإذا آمنوا واتقوا .

---

( ١ ) مطرقة كبيرة يكسر بها المدر . ( ٢ ) عجزت عن البيان . ( ٣ ) باعدت .
( ٤ ) الذاريات : الآية ٥٦. ( ٥ ) الرحمن : ٤٦ ، ٤٧ .

فإن قيل كيف يخاطب الملكان جميع الموتى فى الأماكن المتباعدة فى الوقت الواحد ؟

فالجواب قال القرطبى : أن عظم جثتهما يقتضى ذلك ، فيخاطبان الخلق الكثير ، فى الجمعة الواحدة ، فى المرة الواحدة ، مخاطبة واحدة ، بحيث يخيل لكل واحد من المخاطبين أنه المخاطب دون سواه . ويمنعه الله تعالى من سماع جواب بقية الموتى قال السيوطى : ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك ، كما فى الحفظة ونحوهم ، ويرى الحليمى ( من أصحاب السيوطى ) فى منهاجه : أن ملائكة السؤال جماعة كثيرة ، يسمى بعضهم منكراً ، وبعضهم نكيراً ،فيبعث إلى ميت اثنان منهم ، كما كان الموكل عليه لكتابة أعماله ملكين »[1] أ . هـ .

قال الحكيم الترمذى : سؤال القبر خاص بهذه الأمة لأن الأمم قبلها كانت تأتيهم الرسل بالرسالة ، فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب . فلما بعث الله محمداً ﷺ بالرحمة ، أمسك عنهم العذاب ،وأعطى السيف حتى يدخل فى دين الإسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الإيمان فى قلبه . فمن هنا ظهر النفاق ، فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان ، فكانوا بين المسلمين فى ستر ، فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر[2] ليستخرج سرهم بالسؤال ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، وخالفه آخرون فقالوا : السؤال لهذه الأمة وغيرها . قال ابن عبد البر : ويدل للاختصاص قوله : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها » وقوله : « أوحى إلىَّ أنكم تفتنون فى قبوركم » .

وقوله : « فىَّ تفتنون وعنى تسألون »[3] أ . هـ .

## كيفية سؤال الملكين :

فذلك بحسب الأشخاص أيضا ، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها ، ويؤخذ من رواية أبى داود عن أنس : فما يسأل عن شىء بعدها ، ولفظ ابن مردويه : فلا يسأل عن شىء غيرها ، أنه لا يسأل عن شىء من التكليفات غير الاعتقاد خاصة ، وصرح فى رواية البيهقى من طريق عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى﴿ **يثبت الله الذين آمنوا** ﴾ . قال : الشهادة

---

( ١ ) وانظر التذكرة للقرطبى .

( ٢ ) فتانى القبرهما منكر ونكير.

( ٣ ) الحكيم الترمذى أبو عيسى فى نوادر الأصول .

يسألون عنها فى قبورهم بعد موتهم قيل لعكرمة : ما هو ؟ قال : يسألون عن الإيمان بمحمد ، وأمرالتوحيد .

قال الحافظ السيوطى فى منظومته :

**وليس عن غير اعتقاد يسأل ... أتى بهذا خبر مفصل**

**ما هى اللغة التى يسال بها الميت فى قبره؟**

اللغة التى يسأل بها الميت هى لغته التى يتكلم بها ويخاطب بها فى حياته على القول الصحيح وعليه المعمول عن السلف الصالح وظواهر الأحاديث تشهد له .

وذكر الحافظ جلال الدين السيوطى « أنه وقع فى فتاوى شيخه ( علم الدين البلقينى ) : أن الميت يجيب السؤال باللغة السريانية » قال الحافظ : « ولم أقف لذلك على مستند » وقال فى منظومته :

**ومن عجيب ما ترى العينان ... أن سؤال القبر بالسريانى**
**أفتى بهذا شيخنا البلقينى ... ولم أره لغيره بعينى**

روى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل»(١) .

وأخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل .. الحديث .. يؤخذ من هذه

---

( ١ ) أخرجه أبو داود فى الجنائز ( ٣٢٢١ ) باب الاستغفار عند القبر للميت وقت الانصراف والحاكم ( ١ / ٣٧١ ) والبيهقى فى سننه ( ٤/ ٥٦ ) ، وفى إثبات عذاب القبر ( ١٢٤ ) ، وعبد الله بن أحمد فى السنة ( ١٣٥٣ ) وفى زوائد الزهد ( ١٢١ ) . قال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبى ، وقال الألبانى فى الجنائز ( ١٥٦ ) وهو كما قالا . وقال النووى فى شرح مسلم . ( ٥/ ٢٩٢ ) إسناده جيد .
وفى هذا الحديث من السنن والآداب : ١ ـ الدعاء له بالتثبيت والاستغفار له ، ٢ ـ أمر الحاضرين له بذلك وهذه السنن قد ماتت هذه الأيام وحل محلها ما يعرف بالتلقين والوارد فيه لا يصح من الأحاديث قال الصنعانى فى سبل السلام ( ٢ / ٥٧٧ ) .
ويتحصل من كلام أئمة التحقيق أنه حديث ضعيف ، والعمل به بدعة ولا يغتر بكثرة من يفعله أ . هـ راجع شرح النووى ، زاد المعاد ، أحكام الجنائز ( ١٥٦ ) وقال ابن القيم فى تحفة المودود ( ٤٩ ) أن الحديث ضعيف باتفاق أهل العلم بالحديث أ . هـ .

الأحاديث أن سؤال الميت يكون عقب دفنه مباشرة من غير تفرقة بين من نُقل من قبره ومن لم ينقل .

**ويترتب على مجموع الأحاديث الواردة فى هذا المبحث من الفقه والفوائد أوجه منها :**

١ ـ أن الإيمان بفتنة القبر وهى سؤال الملكين إيمان بالغيب .

٢ ـ تقوية الإيمان ورسوخ اليقين لكثرة ما فيها من الدلالة على عظم القدرة وعظم القادر .

٣ ـ أخذ الأهبة للإرتحال والأخذ بطريق الخلاص والعمل على ذلك ما دام المرء يجد لنفسه مهلة فى هذه الدار لكثرة ما فيه من الاختبار والتبين لطرق الخلاص وغيرها . فهل من مشمر لخلاص نفسه قبل حلوله فى رمسه وقبره لأنه لا ينفع الاعتذار مع تقدم الإنذار (١).

وقد أطلع الله من شاء من عباده(٢) على كثير مما ورد فى هذه الأحاديث حتى سمعوه وشاهدوه عياناً ونحن نذكر بعض مما بلغنا من ذلك :

## شواهد على فتنة القبر وسؤال الملكين :

ـ عن عبد الله بن عبيد الأنصارى قال :

كنت ممن دفن ثابت بن قيس بن شماس(٣) وكان أصيب يوم اليمامة ، فلما أدخلناه القبر سمعناه يقول : محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق ، عمر الشهيد عثمان الرحيم ، فنظرنا فإذا هو ميت(٤).

ـ قال الضحاك : توفى لى أخ فدفن قبل أن ألحق جنازته فأتيت قبره فاستمعت عليه فإذا هو يقول : ربى الله والإسلام دينى(٥).

---

( ١ ) راجع بهجة النفوس ( ١/ ١٢٨ ) .

( ٢ ) جاء ذكر كثير من هذه الروايات عن كثير من السلف كما يعرف ذلك من كتب التراجم والرجال وهذا من كرامات الأولياء الثابتة وقد ذكر طرفاً منها شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الفرقان ( ١١٤ : ١٢١ ) فليراجع .

( ٣ ) ثابت قيس بن شماس ـ بمعجمة وميم مشددة وآخره مهملة ـ أنصارى خزرجى خطيب الأنصار ، من كبار الصحابة بشره النبى ﷺ بالجنة واستشهد باليمامة ، فنفذت وصيته بمنام رآه خالد بن الوليد . التقريب .

( ٤ ) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب من عاش بعد الموت بنحوه كما فى أهوال القبور وأخرجه البخارى فى تاريخه وابن منده كما فى شرح الصدور ( ٢٢١ ).

( ٥ ) أخرجه أبو الحسن بن البراء العبدى . كما فى أهوال القبور وشرح الصدور ( ١٤١ ).

- قال أبوالمغيرة : ما رأيت مثل المعافى بن عمران[1] وذكر من فضله قال : وحدثنى بعض إخوانى أن غانماً جاء المعافى بن عمران بعد ما دفن فسمعه وهويلقن فى قبره وهو يقول : لا إله إلا الله ، فيقول المعافى : لا إله إلا الله »[2].

***

( ١ ) المعافى بن عمران الأزدى الفهمى أبو مسعود الموصل ثقة عابد فقيه مات سنة ٢٨٥ هـ . التقريب .

( ٢ ) أخرجه أبو الحسن بن البراء فى كتاب الروضة كما فى أهوال القبور .

## الفصل الرابع

## عذاب القبر ونعيمه

فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العبد إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن ويحصل له معها النعيم أو العذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر وإليك بعضها :

### (*)أدلة عذاب القبر ونعيمه فى الكتاب الكريم :

أما أدلة الكتاب فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾(١).

وقد قال طائفة من المفسرين : يقال لها ذلك عند الموت لأنه خطاب للنفس التى تجردت عن البدن وخرجت منه ، فدل ذلك على نعيم البرزخ .

ومن الأدلة كذلك قوله عز وجل : ﴿ **فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾(٢).

فذكر الله عز وجل عذاب الدارين دار البرزخ ودار القرار ذكرا صريحا لا يحتمل غيره .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾(٣).

فهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا وأن يراد به عذابهم فى البرزخ وهو أظهر لأن كثيرا منهم مات ولم يعذب فى الدنيا .

ومنها قوله تعالى : ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾(٤). وقد احتج بهذه الآية ابن عباس رضى الله عنهما على عذاب القبر ،

---

( * ) باختصار وتصرف من كتاب الروح لابن القيم . ( ١ ) الفجر : ٢٧ .
( ٢ ) غافر : ٤٥، ٤٦. ( ٣ ) الطور : ٤٥، ٤٧ . ( ٤ ) السجدة : ٢١ .

وهذا مما يدل على فقهه فى القرآن ودقة فهمه فيه ، فإنه سبحانه أخبر أن لهم عذابين أدنى وأكبر ، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا ، فدل على أنهم بقى لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ، فدل على إثبات عذاب القبر فتأمله .

ومنها قوله تعالى : ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ * ﴾(١).

فذكر الله عز وجل هاهنا أحكام الأرواح عند الموت وذكر فى أول السورة أحكامها يوم المعاد الأكبر ، وقدم ذلك على هذا تقديم الغاية للعناية ، إذ هى أهم وأولى بالذكر ، وجعلهم عند الموت ثلاثة أقسام كما جعلهم فى الآخرة ثلاثة أقسام (*) .

أدلة السنة وهى كثيرة متواترة منها : حديث البراء بن عازب(٢) المشهور الجامع لأحوال الموتى عند قبض أرواحهم وفى قبورهم :

---

( ١ ) الواقعة : ٨٣-٩٦ .

( * ) قال ابن القيم « فأما من قال هى ( الروح ) فى الجنة فاحتج بقوله تعالى ( فأما إن كان من المقربين .. الآية » قال : وهذا ذكره سبحانه عقب خروجها من البدن بالموت وقسم الأرواح إلى ثلاثة أسام ( مقربين ) وأخبر أنهافى جنة النعيم ( وأصحاب يمين ) حكم لها بالإسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب ( ومكذبة ضالة ) وأخبر أن لها نزلا من حميم وتصلية جحيم قالوا : وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعا ، وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة فى أول السورة فذكر حالا بعد الموت وبعد البعث ( الروح لابن القيم : ص١٢٠ ) .

( ٢ ) حديث البراء أورد طرقه الحافظ ابن رجب فى أهوال القبور ، وقد ساقه الألبانى حفظه الله سياقاً واحداً ضاماً إليه جميع الزوائد والفوائد التى وردت فى شيء من طرقه الثابتة وقد رأيت أن أنقل الحديث كما نسقه الألبانى فى كتابه القيم ( أحكام الجنائز ١٥٦ : ١٥٩ ) وهو كما ترى جدير . بأن يفرد له مصنف مستقل . فليراجع تخريجه هناك . قال الحافظ فى الفتح ( ٣/٢٨٢ ) : وهو أتم الأحاديث سياقاً » .

قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار (١) ، ولما لم يلحد(٢) فجلس رسول الله ﷺ ( مستقبل القبلة ) وجلسنا حوله(٣) وكأن على رؤوسنا الطير(٤) ، وفى يده عود ينكت(٥) فى الأرض ، ( فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ، ثلاثاً ) فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين ، أو ثلاثاً ، ( ثم قال : اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر )(٦) (ثلاثاً) ، ثم قال :

إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة(٧) من السماء بيض الوجوه ، كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط(٨) من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم

---

( ١ ) إتباع الجنائز من حقوق المسلم على المسلم كما صح عن النبى ﷺ وفى حديث البراء الآخر الذى رواه البخارى « أمرنا باتباع الجنائز » وفيها من الثواب العظيم أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط ومن شهدها حتى تدفن كان له قيراطان والقيراطان مثل الجبلين العظيمين كذا صح عن نبينا ﷺ .

( ٢ ) ( ولما يلحد ) لما جازمة بمعنى لم .
واللحد : بفتح اللام وبالضم وسكون الحاء قال الإمام البخارى فى صحيحه ٢٣ـ كتاب الجنائز ـ ٧٥ ـ باب من يقدم فى اللحد وسمى اللحد لأنه فى ناحية وكل جائر ملحد قال الحافظ فى الفتح ( ٣/٢١٣ ) : قال أهل اللغة : أصل الإلحاد الميل والعدول عن الشىء وقيل للمائل عن الدين ملحد . وسمى اللحد لأنه شىء يعمل فى جانب القبر فيميل عن وسط القبر إلى جانبه بحيث يسع الميت فيوضع فيه ويطبق عليه اللبن أ.هـ .

( ٣ ) وقد كان من هديه ﷺ الجلوس بهذه الصفة عند المقابر يعظ أصحابه ففى حديث على فى البخارى ٢٣ ـ الجنائز ـ ٨٢ باب « كنا فى جنازة بقيع الغرقد فأتانا النبى ﷺ فقعد وقعدنا حوله... »الحديث وبوب عليه البخارى (باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله ) ولا شك أن الموعظة فى هذه الحال أشد تأثيراً من أى حال آخر . وأما إلقاء الموعظة عن وقوف أمام القبر كما هو مشاع اليوم فليس من السنة .

( ٤ ) وهذا الأدب عند سماع الموعظة من صفات الصحابة التى تدل على السكون والوقار ، وأنهم لم يكن فيهم طيش ولا خفة ، وفى فلان طيرة وطيرورة أى خفة وطيش راجع لسان العرب ص ٢٧٣٦ وهو كناية عن غاية السكون أى لا يتحرك منا أحد لتوقيره ﷺ (٤/٣٨٤) عون المعبود .

( ٥ ) فى الصحاح : ينكت فى الأرض بقضيب أى يضرب ليؤثر فيها ، وفى النهاية : ينكت الأرض بقضيب هو أن يؤثر فيها بطرفه ، فعل المفكر المهموم . ابن الأثير فى جامع الأصول أيضا ( ١١ / ١٧٩ ).

( ٦ ) دل هذا على أن الأستعاذة من عذاب القبر من هديه ﷺ خاصة عند القبر وقد وردت فى مواطن أخر مثل الصلاة ، ومعنى قوله « استعيذوا بالله من عذاب القبر » أى اطلبوا منه أن يدفع عنكم عذابه ». والأحاديث فى الاستعاذة من عذاب القبر متواترة كما سيأتى .

( ٧ ) قال ابن عباس وغير واحد : لملك الموت أعوان من الملائكة يخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم ( ٢/ ١٣٨ ) ابن كثير .

( ٨ ) الحنوط : بفتح المهملة ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة .

يجيء ملك الموت[1] عليه السلام يجلس عند رأسه فيقول : أيها النفس الطيبة (وفى رواية : المطمئنة )[2]، اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء ، فيأخذها ( وفى رواية : حتى إذا خرجت روحه صلى[3] عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وفتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يعرج بروحه من قبلهم ) فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن ، وفى ذلك الحنوط ، فذلك قوله تعالى : ﴿ **توفته رسلنا وهم لا يفرطون** ﴾[4]. ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها فلا يمرون - يعنى - بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟.

فيقولون : فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح لهم ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى تنتهى به إلى السماء السابعة [5] ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدى فى عليين .[ ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ** ﴾[6] ، فيكتب كتابه فى عليين ، ثم يقال ] :

---

( ١ ) هكذا اسمه ورد فى هذا الحديث كما جاء فى القرآن ( قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ..) السجدة : الآية(١١) وأما تسميته بعزرائيل فما لا أصل له ولعله من الإسرائيليات.

( ٢ ) هذا كقوله تعالى ( يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ... الاية ) (الفجر : ٢٧ ، ٢٨ ) قال الحافظ ابن كثير ( ٤/ ٥١٠ ) : وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضاً كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ها هنا » أ.هـ .

( ٣ ) صلاة الملائكة الدعاء كما قال أبو العاليه وأخرجه البخارى معلقاً وقال أبو عيسى الترمذى وروى عن سفيان الثورى وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار .

( ٤ ) سورة الأنعام : الآية ( ٦١ ) .

- قال الحافظ ابن كثير ( ٢ / ١٣٨ ) فى قوله ( وهم لا يفرطون ) أى فى حفظ روح المتوفى بل يحفظونها وينزلونها حيث شاء الله عز وجل إن كان من الأبرار ففى عليين وإن كان من الفجار ففى سجين عياذاً بالله من ذلك ا.هـ.

- ولا تعارض بين قوله فى هذه الآية ( توفته رسلنا ... ) وبين قوله ( قل يتوفاكم ملك الموت..... ) السجدة آية(١١) وقوله ( الله يتوفى الأنفس حين موتها ... الزمر : آية ٤٢ ). فإن صدور الأمر بقبض روح العبد من الله ومباشرة التوفى والقبض من اختصاص ملك الموت وأعوانه والله الموفق .

( ٥ ) فيها إثبات صفة العلو لله رب العالمين .

( ٦ ) سورة المطففين آية ( ١٩ : ٢١ ).

أعيدوه إلى الأرض ، فإنى ( وعدتهم أنى ) منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى [١] ، قال : فـ ( يرد إلى الأرض ، ) وتعاد روحه فى جسده[٢] ( قال فإنه يسمع خفق نعال[٣] أصحابه إذا ولّوْ عنه ) ( مدبرين )، فيأتيه ملكان (شديدا الانتهار ) فـ ( ينتهرانه ، )و يجلسانه فيقولان له : من ربك[٤]؟.

فيقول : ربى الله .

فيقولان : ما دينك ؟.

فيقول : دينى الإسلام[٥].

فيقولان له : ما هذا الرجل الذى بعث فيكم[٦]؟.

فيقول : هو رسول الله ﷺ .

فيقولان له : وما عملك[٧]؟.

فيقول : قرأت كتاب الله[٨] ، فآمنت به ، وصدقت ، ( فينتهره[٩] فيقول : من

---

( ١ ) فذلك قول الله تعالى « منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى » سورة طه : الآية ( ٥٥ ).

( ٢ ) وهذا نص صريح فى أن الروح تعاد إلى الجسد وقت السؤال وهو قول الجمهور ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاؤه لأن الله قادر أن يعيد الحياة إلى جزء من الجسد ويقع عليه السؤال كما هو قادر على أن يجمع أجزاءه . راجع فتح البارى ( ٣/ ٢٧٧ ).

( ٣ ) فى مسائل الإمام أحمد بن حنبل لابن هانىء مسألة ( ٩٥٣ ) سمعت أبا عبد الله يقول : قول النبى ﷺ ( إنه ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين ) وقوله ( يا صاحب السبتيتين اخلع سبتيتيك ) قال أبو عبد الله : خلع النعال أمر من النبى ﷺ فى المقابر . وقوله : « إنه ليسمع خفق نعالكم » مثل ضربه النبى ﷺ من سرعة ما يسأل الرجل فى قبره » ا.هـ . وخلع النعال عند المقابر يدل على التواضع والخشية والذلة لله رب العالمين .

( ٤ ) وهذا هو الأصل الأول من أصول التوحيد وهو معرفة الله الذى ربانا وربى جميع العالمين بنعمه فإذا عرفته حق معرفته وأديت حقه عليك رسخ فى قلبك عظمته ونزع من قلبك كل شىء غيره وازددت إيماناً ويقيناً وثبتك الله بالقول الثابت عند هذا السؤال . اللهم ثبتنا .

( ٥ ) وهذا هو الأصل الثانى من أصول التوحيد وهو الإسلام والاستسلام والانقياد لله رب العالمين بالطاعة والخلوص من الشرك وهو الذى لا يقبل الله ديناً سواه ( ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ) سورة آل عمران آية : (٨٥).

( ٦ ) قال النووى (١٧/ ٢٠٣ ) فى شرح مسلم : يعنى بالرجل النبى ﷺ وإنما يقوله فى هذه العبارة التى ليس فيها تعظيم امتحاناً للمسئول لئلا يتلقن تعظيمه من عبارة السائل ثم يثبت الله الذين آمنوا .

( ٧ ) فى هذا دليل على أن المسلم يسأل عن العمل فى قبره فإنه شرط فى كمال الإيمان كما هو مذهب أهل السنة والجماعة .

( ٨ ) أليس فى هذا واعظ لمن أعرض عن القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به وتحكيمه فى سائر حياته ؟.

( ٩ ) فينتهره أى ينكر عليه فعله وقوله تشديد فى السؤال .

ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ وهى آخر فتنة تعرض على المؤمن ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾(١).

فيقول : ربى الله ، ودينى الإسلام ، ونبيى محمد ﷺ ، فينادى مناد فى السماء : أن صدق عبدى ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً إلى الجنة ، قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح له فى قبره مد بصره(٢) ، قال : ويأتيه (وفى رواية : يمثل له ) رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذى يسرك ( أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم ) ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول له :

( وأنت فبشرك الله بخير ) من أنت ؟ .

فوجهك الوجه يجىء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح(٣). ( فو الله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى إطاعة الله ، بطيئاً فى معصية الله فجزاك الله خيراً ، ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار ، فيقال هذا منزلك لو عصيت الله أبدلك الله به هذا ، فإذا رأى ما فى الجنة قال : رب عجل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلى ومالى ، ( فيقال له : اسكن ) قال : وإن العبد الكافر ( وفى رواية : الفاجر ) إذا كان فى انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة (غلاظ شداد ) ، سود الوجوه ، معهم المسوح(٤) ( من النار ) ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه . فيقول : أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق(٥) فى جسده فينتزعها

---

( ١ ) سورة إبراهيم : الآية (٢٧).

( ٢ ) قال النووى فى شرح مسلم ( ٢٠٤/١٧ ) : قال القاضى يحتمل أن يكون هذا الفسح له على ظاهره وأنه يرفع عن بصره ما يجاوره من الحجب الكثيفة بحيث لا تناله ظلمة القبر ولا ضيقه إذا ردت إليه روحه قال ويحتمل أن يكون على ضرب المثل والاستعارة للرحمة والنعيم كما يقال سقى الله قبره والأحتمال الأول أصح والله أعلم ا.هـ.

( ٣ ) تأمل هذا فى قوله ﷺ فى حديث أنس مرفوعاً : « يتبع الميت ثلاثة ، فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » متفق عليه .
فالعمل الصالح هو خير ما يقدمه المسلم لنفسه فى قبره وجاء عن مجاهد فى قوله تعالى (فلأنفسهم يمهدون ) قال فى القبر . أخرجه أبو نعيم فى الحلية ( ٢٩٧/٣ ).

( ٤ ) المسوح : جمع المسح بكسر الميم ، وهو ما يلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفاً وقهراً للبدن .

( ٥ ) أى تهرب .

كما ينزع السفود ( الكثير الشعب ) من الصوف المبلول ، ( فتقطع معها العروق والعصب ) ، ( فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك فى السماء ، وتغلق أبواب السماء ، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم ) ، فيأخذها ، فإذا أخذها ، لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث ؟.

فيقولون : فلان ابن فلان ـ بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا ، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ :

**﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة ، حتي يلج الجمل في سم الخياط ﴾**(١)

فيقول الله عز وجل : **( اكتبوا كتابه فى سجين )**(٢)، فى الأرض السفلى ، ( ثم يقال : أعيدوا عبدى إلى الأرض فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى ) ، فتطرح روحه ( من السماء ) طرحاً ( حتى تقع فى جسده ) ثم قرأ **﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾**(٣)، فتعاد روحه فى جسده ، ( قال : فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه ).

ويأتيه ملكان ( شديدا الانتهار ، فينهرانه ، ) ويجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ ( فيقول : هاه هاه(٤) لا أدرى ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : هاه هاه لا أدرى ) ، فيقولان : فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم(٥)؟.

---

( ١ ) سورة الأعراف آية (٤٠).

( ٢ ) فذلك قوله تعالى ( كلا إن كتاب الفجار لفى سجين ... ) سورة المطففين آية (٧).

( ٣ ) سورة الحج آية : ٣١.

( ٤ ) قال المنذرى فى الترغيب ( ٤/١٨٧ ) قوله : ( هاه هاه ) هى كلمة تقال فى الضحك وفى الأبعاد وقد تقال للتوجع وهو أليق بمعنى الحديث والله أعلم ا.هـ وقال ابن الأثير من عادة المشدود الحائر إذا خوطب أن يقول : هاه هاه ، كأنه يستفهم عما يسأل عنه (١١/١٧٩) جامع الأصول .

( ٥ ) أى ما وصفه أرسول هو ؟ وما اعتقادك فيه ؟ وكذا قيل وقال القارى الأظهر أن ما بمعنى من ليوافق بقية الروايات بلفظ من نبيك ، عون المعبود ( ٤/٣٨٤ ).

فلا يهتدى لاسمه ، فيقال محمد ! فيقول : هاه هاه لا أدرى ( سمعت الناس[1] ) يقولون ذاك ! قال : فيقال : لا دريت[2] ( ولا تلوت ) ، فينادى مناد من السماء أن كذب ، فافرشوا له من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار ، فيأتيه من حرها وسمومها، ويُضيق عليه قبره[3] حتى تختلف فيه أضلاعه[4] ، ويأتيه (وفى رواية:ويمثل له ) رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول: أبشر بالذى يسوؤك ، هذا يومك الذى كنت توعد ، فيقول ( وأنت فبشرك الله بالشر ) من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث (فوالله ما علمت إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله ، سريعاً إلى معصية الله ) ، (فجزاك الله شراً ، ثم يقيض له[5] أعمى أصم أبكم[6] فى يده مرزبة[7] ! لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة حتى يصير بها تراباً ، ثم يعيده الله كما كان[8] ، فيضربه ضربة أخرى ، فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين[9] ، ثم يفتح

---

( ١ ) قال ابن أبى جمرة : فيه دليل على أن اتباع الناس دون علم مهلك لأن السبب المهلك لهذا أن جعل دينه تبعاً للناس من غير علم ولا معرفة فالعاقل يأخذ دينه من القواعد الشرعية التى بها الخلاص كما تقدم للناجى قبل ا.هـ بهجة النفوس ( ١٢٨/١ ).

( ٢ ) « لا دريت » أى لا علمت ما هو الحق والصواب . « ولا تلوت » أى ولا قرأت الكتاب قال فى القاموس : تلوته كدعوته ورميته تبعته والقرآن أو كل كلام قرأته ويجوز أن يكون معناه ولا اتبعت أهل الحق أى ما كنت محققاً للأمر ولا مقلداً لأهله عون المعبود (٣٨٣/٤).

وفى بعض الروايات ( ولا تليت ) قال الحافظ فى الفتح كذا فى أكثر الروايات بمثناة مفتوحة بعدها لام مفتوحة وتحتانية ساكنة قال ثعلب : قوله « تليت » أصله تلوت ، أى لا فهمت ولا قرأت القرآن ، والمعنى لا دريت ولا اتبعت من يدرى ، وإنما قاله بالياء لمؤاخاة دريت » الفتح ( ٢٨٢/٣ ).

( ٣ ) بصيغة المجهول من التضييق ، والتضييق عام للمؤمن والكافر وصرح بذلك طائفة من العلماء وسيأتى .

( ٤ ) حتى تختلف فيه أضلاعه : بفتح الهمزة جمع ضلع وهو عظم الجنب أى حتى يدخل بعضها فى بعض من شدة التضييق والضغطة .

( ٥ ) ثم يقيض له أعمى : أى يسلط ويوكل به زبانية أعمى كيلا يرحم عليه ( عون المعبود (٣٨٤/٤).

( ٦ ) أبكم : الأبكم الذى خلق أخرس .

( ٧ ) مرزبة : قال فى النهاية : المرزبة بالتخفيف المطرقة الكبيرة التى تكون للحداد ويقال لها الأرزبة بالهمز والتشديد ا .هـ ، وقال القارى المسموع فى الحديث تشديد الباء وأهل اللغة يخففونها وهى التى يدق بها المدر ويكسر » عون المعبود ( ٤٨٤/٤ ).

( ٨ ) وفيه أن الكافر والمنافق نفاق كفر يستمر عذابهما أبداً .

( ٩ ) أى الإنس والجن .

له باب من النار ، ويمهد من فرش النار ) ، فيقول : رب لا تقم الساعة »(١).

يقول ابن القيم(٢) : ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلي يوم يبعثون** ﴾(٣) وهذا البرزخ يشرف عليه أهله فيه على الدنيا والآخرة ، وسمى عذاب القبر ونعيمه ، وأنه روضة أو حفرة من نار ، باعتبار غالب الحق ، فالمصلوب والحريق والغريق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله ، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما ، فقد ظن بعض الأوائل إنه إذا حرق جسده بالنار ، وصار رماداً ، وذرى بعضه فى البحر وبعضه فى البر فى يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك ، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البر فجمع ما فيه ، ثم قال : قم فإذا هو قائم بين يدى الله ، فسأله ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : خشيتك يارب وأنت أعلم ، فما تلافاه أن رحمه(٤) فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التى صارت فى هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤوس الأشجار فى مهاب الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فجعل الله النار على هذا برداً وسلاما ، والهواء على ذلك ناراً وسموما ، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شىء أراده بل هى طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين ، وكفربه ، وأنكر ربوبيته .

فإن سأل سائل : ما الحكمة فى كون عذاب القبر ونعيمه لم يذكر فى القرآن ذكراً صريحا مع شدة الحاجة إلى معرفته والإيمان به ليحذره الناس ويتقونه فى حال العذاب ، ويرجونه ويعملون له فى حال النعيم والثواب ؟

---

( ١ ) ويظن بذلك أيضاً أنه لن يبعث من قبره فيفاجأ بالبعث وأول شىء يفعله يدعو على نفسه بالويل والثبور ﴿ **قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا** ﴾ يس : آية (٥٢ ) قال ابن كثير : (٣/٥٧٤ ) يعنون قبورهم التى كانوا يعتقدون فى دار الدنيا أنهم لا يبعثون منها فلما عاينوا ما كذبوا به فى محشرهم ( قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ) وهذا لا ينفى عذابهم فى قبورهم لأنه بالنسبة إلى ما بعده فى الشدة كالرقاد ا.هـ .

( ٢ ) ابن القيم فى كتابه « الروح » : ص ( ٩٩ ـ ١٠٠ ).

( ٣ ) سورة المؤمنون : الآية ١٠٠ .

( ٤ ) الحديث رواه البخارى من حديث أبى سعيد ج٤ص١٥١ ، وفى مواضع أخرى : رواه النسائى وابن ماجه ومالك وأحمد كما فى المعجم المفهرس : ج٢ص٣٣ مادة خشى

وقد أجاب ابن القيم فى كتابه « الروح »[1] عن هذا السؤال فقال : الجواب من وجهين : مجمل ومفصل .

**أما المجمل** : فهو أن الله سبحانه وتعالى أنزل على رسوله وحيين ، وأوجب على عباده الإيمان بهما ، والعمل بما فيهما ، وهما الكتاب والحكمة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[2] وقال تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾[3] وقال تعالى ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾[4].

والكتاب هو القرآن ، والحكمة هى السنة باتفاق السلف ، وما أخبربه الرسول عن الله فهو فى وجوب تصديقه ، والإيمان به ، كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله ، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لاينكره إلا من ليس منهم ، وقد قال النبى ﷺ : « إنى أوتيت الكتاب ومثله معه »[5].

**وأما الجواب المفصل** : فهو أن نعيم البرزخ وعذابه مذكوران فى القرآن فى غير موضع ، منها الآيات التى سقناها فى صدر هذا المبحث ، وحديث البراء الجامع الصحيح لأحوال الموتى فى القبور ، فارجع إليها فى موضعها .

ثم قال : ومنها قوله تعالى ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلي ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي * وادخلي جنتي** ﴾[6] وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك ؟ فقالت طائفة : يقال لها عند الموت وظاهر اللفظ مع هؤلاء فإنه خطاب للنفس التى قد تجردت عن البدن وخرجت منه ، وقد فسر ذلك النبى ﷺ بقوله فى حديث البراء وغيره : فيقال لها : « **اخرجى راضية مرضيا عنك** » [7] ، وسيأتى تفصيله فى مبحث « مستقر الأرواح فى البرزخ » فانظره فى موضعه وقوله

---

( ١ ) الروح لابن القيم : ( ١٠٢ـ١٠٤ ) .
( ٢ ) النساء : ١١٣.
( ٣ ) الجمعة : ٢ .
( ٤ ) الأحزاب : ٣٤ .
( ٥ ) رواه أبو داود ، وأحمد فى مسنده ( ٤/١٣١ ) ، قلت : هو صحيح من رواية المقدام بن معد يكرب ( صحيح الجامع برقم ٢٦٤٠ ).
( ٦ ) الفجر : ٢٧ .
( ٧ ) له شاهد صحيح من حديث أبى هريرة ( سيأتى تخريجه فى نعيم القبر ) .

تعالى﴿ **فادخلي في عبادي** ﴾ مطابق لقوله ﷺ : « اللهم الرفيق الأعلى »[١] .

وأنت إذا تأملت أحاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلا وتفسيراً لما دل عليه القرآن ، وبالله التوفيق .

## عذاب القبر هو عذاب البرزخ

قال ابن القيم (*) : ومما ينبغى أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبِر أو لم يُقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً ونسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور .

وقد تواترت الأحاديث[٢] عن النبى ﷺ فى عذاب القبر والتعوذ منه وهى أخبار ثابتة توجب العلم ، وتنفى الريب والشك والله نسأل أن يعيذنا من العذاب فى قبورنا ، وأن يجعلها علينا رياضا خضراء تنوّر لنا فيها .

روى مسلم عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ فى حائط[٣] لبنى النجار على بغلته ، ونحن معه إذ حادت[٤] به فكادت تلقيه ، فإذا قبر ستة أو خمسة، أو أربعة ، فقال : من يعرف أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل: أنا ، قال : فمتى مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا فى الإشراك فقال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها ، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه » ثم أقبل علينا بوجهه فقال : « تعوذوا بالله من عذاب النار » فقالوا : نعوذ بالله من عذاب النار ، قال : تعوذوا بالله من عذاب القبر . قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر قال : تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال ، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال .

---

( ١ ) رواه البخارى فى المرضى : ١٩ ، وفضائل الصحابة : ٥ ومسلم فى السلام : ٤٦ وفضائل الصحابة : ٨٥ ، والترمذى فى الدعوات : ٧٦ ، وابن ماجة فى الجنائز : ٦٤ ، ومالك فى الموطأ ـ باب الجنائز ٤٦ ، وأحمد فى مسنده : ٤٥/٦ ، قلت : كلهم رووه من حديث عائشة رضى الله عنها أيضاً ، ولكن يشهد له اللفظ الأول .

( * ) الروح لابن القيم : ص ٧٨ .

( ٢ ) أحاديث عذاب القبر والتعوذ منه متواترة نص على ذلك جمع كبير من العلماء منهم ابن القيم وابن أبى العز والسيوطى والكتانى وغيرهم : الروح (٧٠) ، مفتاح دار السعاده (٤٥/١) ، شرح الطحاوية ( ٣٩٩ ) ، شرح الصدور ( ٢١٣ ) ، نظم المتناثر حديث رقم (١١٣) ، ( ١١٤ ) .

( ٣ ) بستان . ( ٤ ) مالت .

وعن أنس أن النبى ﷺ سمع صوتا من قبر فقال : « متى مات هذا ؟ » فقالوا: مات فى الجاهليه فسر بذلك وقال : « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر »(١) .

وروى البخارى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر ، فقال : نعم عذاب القبر ، قالت عائشة رضى الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة ، إلا تعوذ من عذاب القبر(٢)على أن حادثة أصحاب القليب معروفة مشهورة رواها الإمام البخارى بعدة روايات .

ورواها غيره بعدة روايات أيضا ، منها روايته عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : « اطلع النبى ﷺ على أهل القليب ، فقال : وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فقيل له : تدعو أمواتا ؟ فقال : « ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن : « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»(٣).

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال »(٤).

وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال : دخل رسول الله ﷺ نخلا لبنى النجار فسمع أصوات رجال من بنى النجار ماتوا فى الجاهلية يعذبون فى قبورهم فخرج رسول الله ﷺ فزعا ، فأمر أصحابه أن يتعوذوا بالله من عذاب

---

( ١ ) رواه مسلم والنسائى .

( ٢ ) رواه البخارى كتاب الجنائز ( ١٣٧٢ ) ، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥٨٤) (١٢٣) .

( ٣ ) رواه مسلم : ( ٥٩٠ ) ( ١٣٤ ) كتاب المساجد ـ باب ما يستعاذ منه فى الصلاة .

( ٤ ) رواه مسلم : كتاب المساجد ( ٥٨٨ ) ( ١٣٠ ) ، ورواه بلفظه وعنده ( من شر المسيح الدجال ) ، وأبو داود ( ٩٨٣ ) كتاب الصلاة ـ باب ما يقول بعد التشهد ، والدارمى (١/٣١٠ ) وغيرهم .

القبر(١).

وأخرج الطحاوى عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال : أمر بعبد من عباد الله أن يضرب فى قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة ، فامتلأ قبره عليه ناراً فلما ارتفع عنه أفاق قال : علام جلدتمونى ؟ قالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره ».

وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال : خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس(٢) فسمع صوتا فقال : « يهود تعذب فى قبورها »(٣).

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مر بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول ، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » كما أن عذاب القبر أو عذاب البرزخ مذكور فى القرآن فى غير موضع . يشير القرآن الكريم إلى حياة الكفار بعد الموت وقبل القيامة ، يقول الله تعالى عن آل فرعون : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾(٤) قال ابن مسعود : تعرض أرواحهم من حين موتهم إلى قيام الساعة .

قال القرطبى : الجمهور على أن هذا العرض يكون فى البرزخ ، وهو حجة فى تثبيت عذاب القبر وقال صاحب تفسير الجلالين : هذه الآية تدل على عذاب القبر فى الدنيا ألا تراه يقول عن عذاب الآخرة « ويوم تقوم الساعة أ[illegible]خلوا آل فرعون أشد العذاب » وفى الحديث عن ابن مسعود : أن أرواح فر[illegible] كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشى فيقال : هذه نار[illegible]

وقال على رضى الله تعالى عنه : « ما زلنا فى شك من عذاب القبر حتى نزلت آية : ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ** ﴾(٥).

---

( ١ ) أخرجه أحمد فى مسنده ( ٣/٢٩٥ ، ٢٩٦ ) وعبد الرازق ( ٦٧٤٢ ) ، ( ٦٧٤٤ ) والبيهقى فى إثبات عذاب القبر ( ٢٠٤ ) وقال الهيثمى فى المجمع ( ٣/٥٥ ) ورجال أحمد رجال الصحيح .

( ٢ ) البخارى ( ١٣٧٥ ) كتاب الجنائز ، ومسلم كتاب الجنة ( ٢٨٦٩ ، ٦٩١ ) .

( ٣ ) أخرجه البخارى فى الجنائز ( ١٣٧٨ ) ومسلم فى الطهارة ( ١٩٨٠ ، ١٩٨١ ) والألبانى فى مختصر البخارى ( ١/١٣١ ).

( ٤ ) غافر : الآية ٤٦.

( ٥ ) التكاثر : ١-٢ .

وقال ابن مسعود : إذا مات الكافر أجلس فى قبره ، فقال : من ربك ؟وما دينك ؟ فيقول : لا أدرى ، فيضيق عليه قبره ، ثم قرأ ابن مسعود : ﴿ فإن له معيشة ضنكا ﴾ .

قال : المعيشة الضنك ، هى عذاب القبر .

وقال قتادة فى قوله تعالى ﴿ سنعذبهم مرتين ﴾ إحداهما فى الدنيا ، والأخرى عذاب القبر وقال ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ** ﴾(١) . الأدنى فى القبر ، والأكبر : يوم القيامة

يقول ابن القيم : عذاب القبر قسمان : دائم وهوعذاب الكفار وبعض العصاة، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة ، فإنه يعذب بحسب جريمته ، ثم يرفع عنه ، وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقه أو نحو ذلك(٢).

## شواهد من عذاب القبر ونعيمه

روى ابن أبى الدنيا فى أهوال القبور :

عن رجل حفار للقبور قال : حفرت قبرين(٣) ، وكنت فى الثالث فاشتد علىّ الحر ، فألقيت كسائى على ما حفرت واستظليت(٤) فيه ، فبينما أنا كذلك إذ رأيت شخصين على فرسين أشهبين فوقفا على القبر الأول : فقال أحدهما لصاحبه : اكتب ، قال ما أكتب : قال : فرسخ فى فرسخ(٥) ثم تحولا إلى الآخر ، فقال : اكتب . قال وما اكتب ؟ قال مد البصر ، ثم تحولا إلى الآخر الذى أنا فيه فقال اكتب ، قال وما اكتب ؟ قال : فتر فى فتر(٦).

فقعدت أنظر إلى الجنائز ، فجىء برجل معه نفر يسير فوقفوا على القبر الأول ، قلت ما هذا الرجل ؟ قالوا إنسان قراب يعنى سقاء ذو عيال ولم يكن له شىء فجمعنا له ، فقلت : ردوا الدراهم على عياله ، ودفنته معهم ، ثم أتى بجنازة ليس معها إلا من يحملها فسألوه عن القبر الذى قال : مد البصر ، قلت : من ذا الرجل ؟ فقالوا : إنسان غريب مات على مزبلة لم يكن معه شىء فلم آخذ منهم شيئاً ، فصليت معهم وقعدت أنتظر الثالث ، فلم أزل أنتظر إلى العشاء ، فأتى

---

( ١ ) السجدة : ٢١ .
( ٢ ) كتاب الروح لابن القيم .
( ٣ ) فى التذكرة « بقرافة مصر ».
( ٤ ) أى نام فيه .
( ٥ ) الفرسخ : ثلاثة أميال والميل ١٧٤٨ متراً فيكون الفرسخ ٥٥٤١ متراً .
( ٦ ) الفتر : ما بين الإبهام والسبابة .

بجنازة امرأة لبعض القواد(١) ، فسألتهم الثمن فضربوا برأسى ، ودفنوها فيه(٢).

* عن أبى غالب(٣) صاحب أبى أمامة أن فتى بالشام حضره الموت . فقال لعمه : أرأيت لو أن الله دفعنى إلى والدتى ما كانت صانعة بى ؟ قال : إذا والله تدخلك الجنة !

فقال : والله لله أرحم بى من والدتى فقبض الفتى ، فجزع عليه عبدالملك بن مروان قال : فدخلت القبر مع عمه فخطوا له خطاً فلم يلحدوه ، قال : فقلنا باللبن فسوينا عليه فسقطت لبنة ، فوثب عمه فتأخر ، قلت ما شأنك قال :

« ملىء قبره نوراً ، وفسح له مد بصره »(٤).

* ولما مات الأحنف بن قيس(٥) وقعت قلنسوة رجل فى قبره فأهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح فيه مد البصر(٦).

## مستقر الأرواح في البرزخ

عقد ابن القيم فصلا ذكر فيه أقوال العلماء فى مستقر الأرواح ثم ذكر القول الراجح فقال : قيل : الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم التفاوت .

فمنها : أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى ، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وهم متفاوتون فى منازلهم ، كما رآهم النبى ﷺ ليلة الإسراء .

ومنها : أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت(٧) ، وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم ؛ بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول

---

( ١ ) زاد فى التذكرة والروح : مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير .

( ٢ ) أخرجه ابن أبى الدنيا كما فى أهوال القبور .

( ٣ ) أبو غالب صاحب أبى أمامة ، بصرى ، نزل أصبهان قيل اسمه حزوز - بفتح الحاء والزاى والواو المشددة - وقيل نافع صدوق يخطىء . التقريب .

( ٤ ) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمى السعدى ، أبو بحر اسمه الضحاك ، وقيل صخر مخضرم ، ثقة ، قيل مات سنة سبع وستين وقيل اثنتين وسبعين ، روى حديثه الجماعة . التقريب .

( ٥ ) نقلها شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتابه الفرقان ( ١٢٠ ) . وأوردها الذهبى فى سير أعلام النبلاء ( ٤/٩٥/٩٦ ) عن عبد الرحمن بن عقبة قال : حضرت جنازة الأحنف بالكوفة فيمن نزل قبره فلما سويته رأيته قد فسح له مد بصرى فأخبرت بذلك أصحابى فلم يروا ما رأيت .

( ٦ ) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب المحتضرين كما فى أهوال القبور .

( ٧ ) هذا نص الحديث .

الجنة لدين عليه أو غيره كما فى المسند ، عن محمد بن عبدالله بن جحش أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ، ما لى إن قتلت فى سبيل الله؟ قال : الجنة ، فلما ولّى ، قال : إلا الدين سارّنى به جبريل آنفاً .

ومنهم من يكون محبوساً على باب الجنة ، كما فى الحديث الآخر : رأيت صاحبكم محبوساً على باب الجنة .

ومنهم : من يكون محبوساً فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلها(١) ثم استشهد ، فقال الناس : هنيئًا له فى الجنة ، فقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً فى قبره » .

ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما فى حديث ابن عباس : « الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا» رواه أحمد وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما، فى الجنة حيث شاء .

ومنهم من يكون محبوساً فى الأرض ، لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى ، فإنها كانت روحاً سفلية أرضية ، فإن الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية ، كما لا تجامعها فى الدنيا ، والنفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ومحبته وذكره والأنس به والتقرب إليه ، هى أرضية سفلية ، ولا تكون بعد المفارقة لبدنها إلا هناك ، كما أن النفس العلوية التى كانت فى الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره، والتقرب إليه ، والأنس به ، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها ، فالمرء مع من أحب فى البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض فى البرزخ ويوم المعاد ويجعل روحه ( يعنى المؤمن ) مع القسم الطيب (يعنى الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه ) فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وإخوانها وأصحاب عملها فتكون معهم هناك .

ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى ، وأرواح فى نهر الدم ، تسبح فيه، وتلقم الحجارة ، فليس للأرواح ـ سعيدها وشقيها ـ مستقر واحد ، بل روح فى أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض .

وأنت إذا تأملت السنن والآثار فى هذا الباب ، وكان لك بها فضل اعتناء عرفت

---

( ١ ) غلها : أى سرقها من الغنيمة قبل القسمة .

حجة ذلك ، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة فى هذا الباب تعارضاً فإنها كلها حق يصدق بعضها بعضاً ، لكن الشأن فى فهمها ومعرفة النفس وأحكامها وأن لها شأنا غير شأن البدن ، وأنها مع كونها فى الجنة فهى فى السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه ، وهى أسرع شىء حركة وانتقالاً وصعوداً وهبوطاً ، وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة ، وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ومرض، ولذة ونعيم ، وألم أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة ، وهنالك اللذة والراحة والنعيم والانطلاق ، وما أشبه حالها فى هذا البدن بحال البدن فى بطن أمه ؟ وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن إلى هذه الدار ، فلهذه الأنفس أربع دور ، كل دار أعظم من التى قبلها .

**الدار الأولى :** فى بطن الأم ، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث.

**والدار الثانية :** هى الدار التى نشأت فيها وألفتها واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة .

**والدار الثالثة:** دار البرزخ ، وهى أوسع من هذه الدار وأعظم ، بل نسبتها إليها كنسبة هذه الدار إلى الأولى .

**والدار الرابعة :** دار القرار وهى الجنة والنار فلا دار بعدهما والله ينقلها فى هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التى لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهى التى خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها إليها .

ولها فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الدار الأخرى ، فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها . الذى فاوت بينها فى درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها فى مراتب علومها وأعمالها وقواها وأخلاقها ، فمن عرفها كما ينبغى ، شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك كله ، وله الحمد كله ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، وله القوة كلها ، والقدرة كلها ، والعز كله ،و الحكمة كلها ، والكمال المطلق من جميع الوجوه ، وعرف بمعرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله ، وأن الذى جاءوا به هو الحق الذى تشهد به العقول وتقر به الفطر . وما خالفه فهو الباطل .. وبالله التوفيق .

## الرد على المنكرين

فإذا قال قائل : فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميا صما يضربون الموتى بمطارق من حديد ولا نيران تأجج ؟ فالرد عليهم من وجوه :

**أولها** : أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثا : دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار ، وجعل لكل دار أحكاما تختص بها .

**ثانيها** : أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن إدراك المكلفين فى هذه الدار وذلك من كمال حكمته ، وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم ، فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر كما قال الله تعالى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ** ﴾[1] أى أقرب إليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم فهذا أول الأمر وهو غير مرئى لنا ولا مشاهد وهو فى هذه الدار ، ثم يمد الملك يده إلى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ، ثم تخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة أطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه ، ثم تأتى فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول : قدمونى أو تقول إلى أين تذهبون بى ، ولا يسمع الناس ذلك ، فإذا وضع فى لحده وسوى عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول إليه . فكل ذلك من أمور الغيب التى أخفاها الله عن المكلفين ليتميز المؤمن من الكافر .

**ثالثها** : أن النار التى فى القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا فيشاهدها من شاهد نار الدنيا وخضرها ، وإنما هى من نار الآخرة وخضرها وهى أشد من نار الدنيا فلا يحس بها أهل النار .

وأعجب من هذا أن الرجلين يدفنان أحدهما إلى جنب الآخر هذا فى حفرة من حفر النار لا يصل حرها إلى جاره وهذا فى روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره ، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك ، وقد أرانا من آيات قدرته فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما إلا من وفقه الله وعصمه ، فإننا نجد النائمين فى

---

( ١ ) الواقعة : ٨٥ .

فراش واحد وهذا روحه فى النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه وهذا روحه فى العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر وقد قال ﷺ : « **لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع** »(١) وقد أخبر النبى ﷺ أن الدجال يأتى معه بماء ونار فالنار ماء بارد ، والماء نار تأجج ، وأحاديث الدجال صحيحة متواترة وهذا أعجب وأعجب ، وقد كان جبريل عليه السلام ينزل على النبى ﷺ ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ، ومن إلى جانب النبى ﷺ لا يراه ولا يسمعه ، وأحيانا يأتى مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين .

وفى غزوة بدر كانت الملائكة تضرب أعناق الكفار وتقاتل مع المسلمين وهم لا يرونهم ولا يسمعونهم ، وسر المسألة أن الله عز وجل إنما أشهد بنى آدم فى هذه الدار ما كان منها فأما ما كان من أمر الآخرة فقد أسبل عليه الغطاء ليكون الإقرار به والإيمان سببا لسعادتهم فإذا كشف عنهم الغطاء صار عيانا مشاهدا .

فإن قال قائل : من تفرقت أجزاؤه كالمحروق والغريق والمصلوب كيف يتنعم بثواب أو يتألم بعقاب فالجواب : أنه لا يمتنع على من هو على كل شىء قدير أن يجعل للروح اتصالات بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ويكون فى تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة .

إذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل فى الجمادات شعورا وإدراكا تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته وتسجد له الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات ، قال تعالى : ﴿ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ** ﴾(٢) وإذا كان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل: ﴿ ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ فإن كل عاقل يفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ** ﴾(٣) فهذه صلاة وتسبيح حقيقة ، يعلمها الله وإن جحدها الجاهلون .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وسمعوا حنين الجذع اليابس فى المسجد إلى رسول الله ﷺ ، فإذا كانت

---

(١) تقدم تخريجه . (٢) الإسراء : ٤٤ . (٣) النور : ٤١ .

هذه الأجسام فيها الإحساس والشعور ، فالأجسام التى كانت فيها الحياة أولى بذلك .

فلو علق الميت على رؤوس الأشجار فى مهاب الريح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ، ولو دفن الرجل الصالح فى أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه ، فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما والهواء على هذا نارا وسموما ، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصى عليه منها شىء أراده ، بل هى طوع مشيئة مذللة منقادة لقدرته ، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته .

# الفصل الخامس



## أهوال القبور

### أهوال القبور تسمعها البهائم :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إن الموتى ليعذبون فى قبورهم حتى أن البهائم لتسمع أصواتهم »(١)

وفى الحديث الصحيح عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : «إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم »(٢).

وعن أم مبشر قالت : دخل علىّ رسول الله ﷺ وأنا فى حائط من حوائط بنى النجار فيه قبور منهم قد ماتوا فى الجاهلية فسمعهم وهم يعذبون فخرج وهو يقول : « استعيذوا بالله من عذاب القبر ، « قلت : يا رسول الله : إنهم يعذبون فى قبورهم ؟ قال : « نعم » ، عذابا تسمعه البهائم »(٣).

وعن زيد بن ثابت - رضى الله عنه قال : بينما النبى ﷺ فى حائط بنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به(٤) فكادت تلقيه(٥) وإذا أقبر سته أو خمسة أو أربعة فقال : « من يعرف أصحاب هذه الأقبر ؟ » فقال : رجل : أنا قال : « متى مات هؤلاء ؟ » قال : ماتوا فى الإشراك ، فقال : « إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه »(٦).

وقال أبو محمد عبد الحق الأشبيلى حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برجان - وكان من أهل العلم والعمل - رحمه الله - أنهم دفنوا ميتا بقريتهم من شرق أشبيلية ، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ، ودابة ترعى قريبا منهم ،

---

( ١ ) صححه الشيخ الألبانى برقم ( ١٦٩١ ) فى صحيح الجامع .

( ٢ ) رواه البخارى فى الجنائز باب ما جاء فى عذاب القبر برقم ( ١٣٧٥ ) ورواه مسلم فى المساجد برقم ( ١٢٥ ) ، والنسائى ( ٤/١٠٥ ) وأحمد ( ٦/٤٥ ، ٢٠٦ ) .

( ٣ ) رواه أحمد ( ٦/٣٦٢ ) وابن حبان فى صحيحه ( ٣١١٥ ) والآجرى : ص ( ٣٦٣ ) وابن أبى عاصم ( ٨٧٥ ).

( ٤ ) أى مالت عن الطريق ونفرت وفزعت .

( ٥ ) أى من شدة فزعها كادت أن تلقى النبى ﷺ من على ظهرها .

( ٦ ) رواه مسلم فى صحيحه كتاب صفة الجنة برقم ( ٦٧ ) وأحمد ( ٥/١٩٠ ) وابن أبى شيبة ( ٣/٣٧٣ ) وعبد الرازق فى مصنفه ( ٦٧٤٤ ) وأمالى الشجرى ( ٢/٣٠٤ ).

فإذا الدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع ، ثم ولت فارة ، فعلت ذلك مرة بعد أخرى قال أبو الحكم - رحمه الله - فذكرت عذاب القبر ، وقول النبى ﷺ : « إنهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم » ، والله عز وجل أعلم بما كان من أمر ذلك الميت . ذكر هذه الحكاية لما قرأ القارىء هذا الحديث(١) فى عذاب القبر ونحن إذ ذاك نسمع عليه كتاب مسلم بن الحجاج - رضى الله عنه(٢).

## ما الحكمة فى أن الله ستر عنا عذاب القبر ؟

تقدم حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ، وفيه قول النبى ﷺ « لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر ».

وحديث زيد بن ثابت ، وأم مبشر عن النبى ﷺ وفيهما هذا المعنى أيضا فكتم الله سبحانه تعالى عذاب القبر وما يلاقيه أهله من أهوال ، حتى نتدافن بحكمته الإلهية ولطائفه الربانية ، لغلبة الخوف عند سماعه ، فلا نقدر على القرب من القبر للدفن ، أو يهلك الحى عند سماعه ، إذ لا يطاق سماع شىء من عذاب الله فى هذه الدار ؛ لضعف هذه القوى ، ألا ترى أنه إذا سمع الناس صعقة الرعد القاصف أو الزلازل الهائلة هلك كثير من الناس ! ، وأين صعقه الرعد من صيحة الذى تضربه الملائكة بمطارق الحديد التى يسمعها كل من يليه ؟!

وقد قال ﷺ فى الجنازة « ولو سمعها إنسان لصعق »(٣) وهذا وهو على رؤوس الجبال من غير ضرب ولا هوان ، فكيف إذا حل به الخزى والنكال واشتد عليه العذاب والوبال ؟ فنسأل الله معافاته ومغفرته وعفوه ورحمته (٤) .

وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته ، أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لأنهم لا يطيقون رؤيتها وسماعها ، والعبد أضعف بصراً وسمعا من أن يثبت لمشاهدة عذاب القبر ، وكثيراً مما أشهده الله ذلك صعق وغشى عليه ، ولم ينتفع بالعيش زمنا ، وبعضهم كشف قناع قلبه فمات ، فكيف ينكر فى الحكمة الإلهية إسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى إذا كشف الغطاء رأوه وشاهدوه عيانا(٥).

---

( ١ ) يعنى الحديث المتقدم الذى رواه مسلم .

( ٢ ) الروح لابن القيم ( ٧٢-٧٣ ) والتذكرة للقرطبى : ص ١٦٣ .

( ٣ ) جزء من حديث صحيح عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ - رواه البخارى فى الجنائز باب كلام الميت على الجنازة برقم ( ١٣٨٠ ) وأحمد ( ٣/٤١، ٥٨ ) والنسائى ( ٤/٤١ ).

( ٤ ) التذكرة : ص ١٦٣ . ( ٥ ) الروح : ص ٩٧ .

## قد يكشف الله عذاب أهل القبور لمن يشاء من عباده :

حدث بعض ذلك فى زمن النبى ﷺ وحدث بعده كثيراً وقد انكشف لكثير من الناس ذلك حتى سمعوا أصوات المعذبين فى قبورهم ، ورأوهم بعيونهم يعذبون فى قبورهم فى آثار معروفه .

### * عذاب أبى جهل :

روى ابن أبى الدنيا عن الشعبى أن رجلا قال للنبى ﷺ : إنى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الأرض فيضربه رجل بمقمعه(١) حتى يغيب فى الأرض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً ، فقال رسول الله ﷺ - « ذلك أبو جهل بن هشام يعذب إلى يوم القيامة »(٢).

### * عبدالله بن عمر رضى الله عنه يرى عذاب القبر :

روى عن عبدالله بن عمر قال : بينا أنا أسير بين مكة والمدينة على راحلة وأنا محقب إداوة(٣) إذ مررت بمقبرة فإذا رجل خارج من قبره يلتهب ناراً وفى عنقه سلسلة يجرها ، فقال : يا عبدالله ! انضح(٤) فو الله ما أدرى أعرفنى باسمى أم كما تدعو الناس ؟ قال : فخرج آخر فقال : يا عبدالله لاتنضح ، يا عبدالله لاتنضح، ثم اجتذب السلسلة فأعاده فى قبره(٥).

### * عذاب عقوق الوالدين :

عن العوام بن حوشب(٦) عن مجاهد(٧) قال : أردت حاجة ، فبينا أنا فى

---

( ١ ) مقمعه : خشبة أو حديدة معوجة الرأس ، (ج) مقامع ، وفى التنزيل ﴿ **ولهم مقامع من حديد** ﴾ ( الحج : ٢١ ).

( ٢ ) الروح ( ٩١ ) وعزاه لابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ، أهوال القبور لابن رجب ( ٢١٣ ) وعزاه للطبرانى وإسناده مرسل ( ضعيف ) .

( ٣ ) مردف معى إناء ، يحمل فيه الماء .

( ٤ ) أى أسقنى قليلا .

( ٥ ) الروح ( ٩١ ) وعزاه لابن أبى الدنيا فى كتاب القبور ، وإسناده ضعيف ، لأن فيه عمرو ابن دينار البصرى ، وهو ضعيف ( انظر التقريب ( ٦٩/٢ ) ، والتهذيب ( ٣٠/٨ ) ، وتاريخ الإسلام ( ١١٤/٥ ) ، وكتاب ( من عاش بعد الموت ) لابن أبى الدنيا برقم ( ٣٣ ) ص : ٥٣ .

( ٦ ) العوام بن حوشب ، أبو عيسى ، ثقة ، صدوق . الجرح والتعديل ( ٢٢/٧ ).

( ٧ ) مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج ، المكى ، تابعى ، شيخ القراء والمفسرين ، أخذ التفسير عن ابن عباس مولده ووفاته ( ٢١-١٠٤ هـ ) وانظر ترجمته فى طبقات الفقهاء ( ٤٥ ) ، وصفوة الصفوة ( ١١٧/٢ ) وحلية الأولياء : ٢٧٩/٣ .

الطريق ، إذ فاجأنى حمار قد أخرج عنقه من الأرض ، فنهق فى وجهى ثلاثا ، ثم دخل ، فأتيت القوم الذين أردتهم ، قالوا : مالنا نرى لونك قد حال ؟ فأخبرتهم الخبر ، فقالوا : ما تعلم ذاك ؟! قلت : لا ، قالوا : ذاك غلام من الحى وتلك أمه فى ذلك الخباء ، وكانت إذا أمرته بشىء شتمها ، وقال : ما أنت إلا حمار ، ثم نهق فى وجهها ، وقال : هاهاها ، فمات يوم مات ، فدفناه فى ذلك الحفير فما من يوم إلا وهو يخرج رأسه فى الوقت الذى دفناه فيه فينهق إلى ناحية الخباء ثلاث مرات ، ثم يدخل ( قبره ).

وروى ابن أبى الدنيا قال : حدثنى محمد بن الحسين ، قال : حدثنى أبو إسحاق صاحب الشاط ، قال : دعيت إلى ميت لأغسله، فلما كشفت الثوب عن وجهه إذا بحيه قد تطوقت على حلقه ، فذكر من غلظها ، قال : فخرجت فلم أغسله ، فذكروا أنه كان يسب الصحابه رضى الله عنهم[1].

وعن الحارث المحاسبى قال : كنت فى الجبانة فى البصرة على قبر فأسمع من القبر : أواه من عذاب الله ، قال الحارث : وكنت فى مقبرة ههنا فى باب المقبرة فأسمع صوت القنا بعضها على بعض يضرب وأنا مشرف على المقبرة ، من قبر وهو يقول : أواه[2].

**ومن عجائب أهوال أهل القبور**[3] : ما روى عن ابن أبى الدنيا فى أهوال القبور :

- عن أبى الحريش عن أمه قالت : لما حفر أبو جعفر خندقاً فى الكوفة حول الناس موتاهم فرأيت شاباً ممن حول عاضاً على يده .
- قيل لنباش قد كان تاب ما أعجب ما رأيت ؟ قال : نبشت رجلا فرأيته مسمراً بالمسامير فى سائر جسده ومسماراً كبيراً فى راسه وآخر فى رجليه .
- وقيل لنباش آخر : ما أعجب ما رأيت ؟ قال : رأيت جمجمة إنسان مصبوباً فيها رصاص .
- وقيل لنباش آخر : ما كان سبب توبتك ؟ قال : « عامة ما كنت أنبش أراه محول الوجه عن القبلة ».

---

( ١ ) ذكره ابن القيم فى كتاب الروح ( ٩٥ ) وعزاه لابن أبى الدنيا .
( ٢ ) أخرجه اللالكائى فى كتاب شرح السنه .
( ٣ ) هذه الآثار رواها ابن أبى الدنيا فى أهوال القبور .

وما ذكره الحافظ ابن القيم فى كتاب الروح[1] حدثنا أبو عبدالله محمد بن سنان السلامى التاجر وكان من خيار عباد الله ، قال : جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد ، فباع مسامير صغاراً فأخذها الحداد فجعل يحمى عليها ، فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها ، فطلب الذى باعها عليه ؟ فوجده . فقال له : من أين لك هذه المسامير . قال : لقيتها ، فلم يزل حتى أخبره أنه رأى قبراً مفتوحاً وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير . قال : فعالجتها على أن أخرجها فلم أقدر، فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها ، قال : وأنا رأيت تلك المسامير ، قلت : وكيف وجدت صفتها ؟ قال : المسمار صغير برأسين . قلت ( أى الحافظ ابن القيم ) هذه الحكاية مشهورة ببغداد وقد سمعتها وأنا صبى ببغداد وهى مستفيضة بين أهلها » .

وذكر الحافظ ابن القيم أيضاً[2] قال حدثنا أبو عبدالله محمد بن الوزير الحرانى أنه خرج من داره بآمد بعد العصر إلى بستان ، فلما كان قبل غروب الشمس توسط القبور فإذا قبر منها ، وهو جمرة نار مثل كور الحداد زجاج والميت فى وسطه قال : فجعلت أمسح عينى ، أقول : أنا نائم أم يقظان ثم التفت إلى سور المدينة فقلت : والله ما أنا بنائم ثم ذهبت إلى أهلى وأنا مدهوش فأتونى بطعام فلم استطع أن آكل ، فدخلت البلد وسألت عن صاحب القبر ، فإذا هو مكاس قد توفى فى ذلك اليوم ».

## الأسباب المنجية من عذاب القبر

### أسباب مجملة :

وهى تجنب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر ، ومن أنفعها :

أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه ثم يحدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل مسروراً بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته ، وليس للعبد أنفع من هذه النومة ، ولا سيما إذا عقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله ﷺ عند

( ١ ) الروح ص ( ٩٢ ، ٩٣ ).

( ٢ ) الروح ص ( ٨٩ ، ٩٠ )

النوم فمن أراد الله به خيراً وفقه لذلك ، ولا قوة إلا بالله »(١).

## أسباب مفصلة :

أما الجواب المفصل فنذكر أحاديثاً عن رسول الله ﷺ فيما ينجى من أهوال القبر وفتنيه وعذابه وهنا تنبيه لابد منه وهو أن هذا الفصل لا يعارض ما تقدم من الأبواب بل يخصصها ويبين من لا يسأل فى قبره ولا يفتن فيه ، ممن يجرى عليه السؤال ويقاسى تلك الأهوال ، وهذا كله ليس فيه مدخل للقياس ولا مجال للنظر فيه وإنما فيه التسليم والانقياد لقول الصادق المرسل إلى ﷺ.

ويمكن إيجاز المنجيات فى خمسة أشياء :ـ

« رباط . قتل . قول . بطن . زمان ».

### ١ ـ الرباط فى سبيل الله تعالى :ـ

أـ قال ﷺ : « رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذى كان يعمل وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان »(٢) رواه مسلم .

ب ـ قال ﷺ : « كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن فتنة القبر »(٣).

### ٢ ـ الاستشهاد فى ساحة القتال :ـ

أـ قال ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له فى أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويحلى حلية الإيمان ، ويزوج من الحور العين ، ويشفع فى سبعين إنساناً من أقاربه»(٤).

ب ـ وعن رجل من أصحاب النبى ﷺ : « أن رجلا قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون فى قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة ».

---

( ١ ) ابن القيم فى الروح ص ( ١٠٦، ١٠٧ ).

( ٢ ) أى فتانى القبر ، نسأل الله العافيه .  ( ٣ ) رواه مسلم .

( ٤ ) أخرجه الترمذى وصححه ، وابن ماجه وأحمد ، وصححه الألبانى فى أحكام الجنائز (ص: ٣٥-٣٦ ).

**٣ - الموت بداء البطن :-**

عن عبد الله بن يسار قال : « كنت جالساً وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة ، فذكروا أن رجلا توفى ، مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته ، فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه فلن يعذب فى قبره » .

فقال الآخر : بلى ، وفى رواية « صدقت »(١).

**٤ - قراءة سورة تبارك :** قال ﷺ : « سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر »(٢).

**٥ - الموت يوم الجمعة أو ليلتها :**

قال ﷺ : « ما من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر »(٣).

٦ - ومن رؤيا السلف ، روى يزيد بن نعامة قال : هلكت جارية فى طاعون الجارف ، فلقيها أبوها بعد موتها فقال لها : يا بنية أخبرينى عن الآخرة قالت : يا أبت قدمنا على أمر عظيم : نعلم ولا نعمل ، وتعملون ولا تعلمون ، والله لتسبيحة أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة عملى ، أحب إلى من الدنيا وما فيها .

٧ - ولما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض أصحابه وعليه ثياب خضر ، وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ ، فقال : كيف كنت بعدنا ؟ وكيف وجدت طعم الموت ؟ وكيف رأيت الأمر هناك ؟! قال : أما الموت فلا يسأل عن شدة كربه وغمه ! إلا أن رحمة الله وارت عنا كل عيب ، وما تلقانا إلا بفضله .

٨ - كثرة الصلاة على النبى ﷺ والعمل بما جاء به والانتهاء عما نهى عنه ، وعلى آله وصحبه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجسام الأنبياء »(٤) وقال أيضا « ما من أحد يسلم علىّ إلا رد الله

---

( ١ ) رواه النسائى وصححه الألبانى فى أحكام الجنائز ( ص : ٣٦ ).

( ٢ ) الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٣٥٢٧ .

( ٣ ) رواه أحمد فى مسنده والترمذى ، وحسنه والألبانى برقم ٥٦٤٩ فى ( صحيح الجامع) .

( ٤ ) جزء من حديث رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وغيرهم ، وهو فى صحيح الجامع برقم ( ٢٢٠٨ ) .

على روحى حتى أرد عليه السلام » كما قال « ما من رجل يزور قبر أخيه فيجلس عنده إلا استأنس به حتى يقوم » وعلم أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا : «سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

## حديث جامع فى المنجيات من القبر :

أخرج الطبرانى فى الكبير ، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، والأصبهانى فى الترغيب عن عبد الرحمن بن سمْرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « إنى رأيت البارحة عجبا .

١ - رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره لوالديه فرده عنه .

٢ - ورأيت رجلا من أمتى ، بسط عليه عذاب القبر ، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك .

٣ - ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته(١) الشياطين فجاء ذكر الله فخلصه من بينهم .

٤ - ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم .

٥ - ورأيت رجلا من أمتى يلهث(٢) عطشا ، كلما ورد حوضا منع ، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه .

٦ - ورأيت رجلا من أمتى ، والنبيون قعود حلقا حلقا ، كلما دنا لحلقة طردوه ، فجاء اغتساله من الجنابة ، وأخذ بيده وأقعده إلى جنبه .

٧ - ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ، وخلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة ، وعن يساره ظلمة ، ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، فهو متحير فيها(٣) فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة ، وأدخلاه النور .

٨ - ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم ، فقالت : يا معشر المؤمنين ، كلموه فكلموه .

---

( ١ ) احتوشته : أحاطت به .
( ٢ ) لهث الكلب ، يلهث لهثا ، إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحر .
( ٣ ) أى لا يدرى كيف يهتدى .

٩ - ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه ، فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه ، وظلا على رأسه .

١٠ - ورأيت رجلا من أمتى أخذته الزبانية[١] من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم ، وأدخلاه مع ملائكة الرحمة .

١١ - ورأيت رجلا من أمتى جاثيا[٢] على ركبتيه ، بينه وبين الله حجاب ، فجاءه حسن خلقه ، فأخذ بيده فأدخله على الله .

١٢ - ورأيت رجلا من أمتى ، وقد هوت به صحيفته من قبل شماله[٣] فجاءه خوفه من الله ، فأخذ صحيفته ، فجعلها عن يمينه .

١٣ - ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه ، فجاءته أفراطه[٤] فثقلوا ميزانه.

١٤ - ورأيت رجلا من أمتى ، قائما على شفير[٥] جهنم ،فجاءه وجله[٦] من الله ، فاستنقذه من ذلك ومضى .

١٥ - ورأيت رجلا من أمتى هوى فى النار ، فجاءته دموعه التى بكى بها من خشية الله فى الدنيا فاستخلصته من النار .

١٦ - ورأيت رجلا من أمتى ، قائما على الصراط يرعد[٧] كما ترعد السعفة[٨] فجاءه حسن ظنه بالله فسكن روعه[٩] ومضى .

١٧ - ورأيت رجلا من أمتى ، على الصراط ، يزحف أحيانا ويحبو فجاءته صلاته علىّ ، فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط .

١٨ - ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فقفلت دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة .

قال الحافظ أبو موسى المدينى : هذا حديث حسن جداً ، وقال القرطبى : هذا حديث عظيم ، وذكر فيه أعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة .

---

( ١ ) الزبانية : ملائكة العذاب يجرون المذنب إلى النار .

( ٢ ) الجاثى : الجالس على ركبتيه .

( ٣ ) من جهة شماله دليل على سوء مصيره قال تعالى : ﴿ وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ﴾ الجاثية : آية ٢٥-٢٧

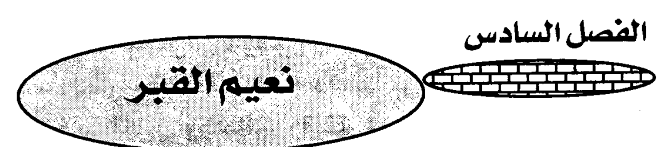
( ٤ ) الأفراط جمع فرط : وهو الولد الصغير الذى يموت قبل أن يدرك .

( ٥ ) حرفها وطرفها . ( ٦ ) الخوف .

( ٧ ) أخذته الرعدة من شدة الخوف .

( ٨ ) السعفة : غصن النخل . ( ٩ ) القلب والعقل .

الفصل السادس




وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾(١) . هؤلاء المؤمنون المقربون لهم مع الله أحوال :

* وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر(٢) الريحان ، فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين ، ويقال : أيتها النفس المطمئنة أخرجى راضية ومرضيا عنك إلى رضوان الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين »(٣) .

* يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، وينور له فيه وينام نومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه .

قال رسول الله ﷺ : « إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان ، يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير ، فيقولان : ما كنت تقول فى هذا الرجل ، فيقول : ما كان يقول هو : عبدالله ورسوله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ، ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له فيه ، ثم يقال : نم ، فيقول : أرجع إلى أهلى فأخبرهم ، فيقولان : نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهله إليه ، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وإن كان منافقا قال : سمعت الناس يقولون قولا ، فقلت مثله ، لا أدرى .

فيقولان : قد كنا نعلم أنك تقول ذلك ، فيقال للأرض : التئمى عليه ، فتلتئم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك »(٤).

* قبر المؤمن يملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون .

قال رسول الله ﷺ : « **إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ،**

---

( ١ ) الواقعة : ٨٨-٨٩ . ( ٢ ) حزم .

( ٣ )رواه أحمد ( ٤/٣٦٤ ) والحاكم ( ١/٣٥٢-٣٥٣ ) وصححه وابن حبان ( ٣٠٠٣ ) وأبو نعيم فى الحليه (٣/١٠٤-١٠٥ ) والنسائى ( ٤/٨ ).

( ٤ ) الألبانى فى صحيح الجامع رقم ( ٧٣٧ ) .

**حتى أنه يسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ، فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ - محمد ﷺ - فأما المؤمن فيقول ( أشهد أنه عبدالله ورسوله ) فيقال انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون ، وأما الكافر أو المنافق ، فيقال له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه »(١).**

* تثبيت الله تعالى للمؤمنين فى القبر . قال رسول الله ﷺ « **إذا أقعد المؤمن فى قبره أتى ، ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت »** (رواه البخارى ) .

* يجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع قبل السؤال .

* يفسح له فى قبره مد بصره

* يفتح للمؤمن باب إلى الجنة فيأتيه من ريحها وطيبها وينظر إلى زهرتها وما فيها ويلبس من الجنة ويفرش له فيها .

* يتمثل العمل الصالح بشكل رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الريح مبشراً .

* ترحيب أهل السماء بالنفس الطيبة ، والبشرى الطيبة لها .

* رؤية النار التى وقى الله المؤمن منها .

* شم الملائكة لروح المؤمن .

* فرح المؤمنين باستقبال روح المؤمن الجديدة أشد من أهل الغائب بغائبهم .

* عند أرواح المؤمنين تستريح الروح من غم الدنيا .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « **إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء ، فيقولون أخرجى إلى روح الله فتخرج كأطيب ريح المسك ، حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا ، فيشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقولون : ما هذه الريح الطيبة التى جاءت من الأرض ولا يأتون سماء إلا قالوا مثل ذلك ، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين ، فإنهم أشد فرحا به من أهل الغائب بغائبهم ، فيقولون : ما فعل فلان ؟ فيقولون : دعوه حتى يستريح فإنه كان فى غم الدنيا ، فيقول : قد مات ، أما أتاكم ؟ فيقولون : ذهب به إلى أمه الهاوية ، وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون : أخرجى إلى غضب**

---

( ١ ) متفق عليه .

**الله فتخرج كأنتن ريح جيفة ، فيذهب به إلى باب الأرض**(١).

* استمرار عرض مقعد المرء عليه من الجنة أو النار فى القبر .

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** »(٢).

* امتلاء قبور من وقعوا فى المعاصى بالظلمة ، قال رسول الله ﷺ : « **إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة وإن الله ينورها بصلاتى عليهم** »(٣).

* الأكل من شجر الجنة قبل يوم القيامة .

قال رسول الله ﷺ « **إنما نسمة المؤمن طائر يعلق**(٤) **فى شجر الجنة ، حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه** »(٥).

* نفس المؤمن معلقة بدينه . قال رسول الله ﷺ : « **نفس المؤمن معلّقة بدينه حتى يقضى عنه** »(٦).

* دعاء أهل السماء للعبد المؤمن ، لقوله ﷺ : « **إذا خرجت روح العبد المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها - فذكر من ريح طيبها - ويقول أهل السماء روح طيبة ، جاءت من قبل الأرض ، صلى الله عليك ، وعلى جسد كنت تعمرينه ، فينطلق به إلى ربه ثم يقول : انطلقوا به إلى آخر الأجل ، وإن الكافر إذا خرجت روحه - فذكر من نتنها - ويقول أهل السماء : روح خبيثة جاءت من قبل الأرض ، فيقال : انطلقوا به إلى آخر الأجل** »(٧).

* جواب المؤمن فى القبر هداية من الله تعالى .

* لا يسأل العبد عن غير العبادة والدين فى القبر .

قال ﷺ : « **إن المؤمن إذا وضع فى قبره أتاه ملك فيقول له : ما كنت تعبد ؟ فإن الله هداه قال : كنت أعبد الله ، فيقول له : ما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله ، فما يسأل عن شيء غيرها ، فينطلق به إلى بيت**

---

( ١ ) رواه ابن حبان فى صحه وهو عند ابن ماجة بنحوه بسند صحيح ، وانظر صحيح الترغيب والترهيب للألبانى .
( ٢ ) رواه البخارى مسلم .
( ٣ ) رواه مسلم وغيره .
( ٤ ) أى يأكل .
( ٥ ) صحيح الجامع برقم ( ٢٣٦٩ ).
( ٦ ) رواه مسلم الترمذى وحسنه ، وفى صحيح الجامع برقم ( ٦٦٥٥ ).
( ٧ ) رواه مسلم .

**كان فى النار ، فيقال له : هذا بيتك كان فى النار ، ولكن الله عصمك ورحمك ، فأبدلك به بيتاً فى الجنة ، فيقول : دعونى حتى أذهب فأبشر أهلى ، فيقال له اسكن ، وإن الكافر إذا وضع فى قبره ، أتاه ملك فينتهره ، فيقول له : ما كنت تعبد ؟ فيقول ؟: لا أدرى ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ، فيقال : فما كنت تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : كنت أقول ما تقول الناس ، فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه ، فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين »**(١).

* عدم سماع الموتى لما يجرى على الأرض :

قال تعالى : ﴿ **فَإِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ** ﴾(٢).

* شوق الصحابة فى البرزخ ـ ممن استشهدوا فى سبيل الله تعالى ، لإخبار من لم يمت من إخوانهم بالكرامة المعدة للشهداء .

**قال ﷺ :ـ « لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، معلقة فى ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكلوا عند الحرب ؟ فقال الله تعالى : « أنا أبلغهم عنكم »**(٣).

**فائدة هامة(٤) :**

بعض أهل البرزخ يكرمه الله بأعماله الصالحة عليه فى البرزخ ، وإن لم يحصل له ثواب تلك الأعمال لانقطاع عمله بالموت ، لكن إنما يبقى عمله عليه ليتنعم بذكر الله وطاعته كما يتنعم بذلك الملائكة وأهل الجنة وإن لم يكن لهم ثواب على ذلك لأن نفس الذكر والطاعة أعظم نعيماً عند أهلها من نعيم جميع أهل الدنيا ولذاتها ، فما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله وطاعته .

وفى حديث سؤال الملكين للمؤمن فى القبر من حديث أبى هريرة(٥)وفيه

---

( ١ ) رواه أبو داود عن أنس ، وفى صحيح الجامع برقم ( ١٩٢٦ ).

( ٢ ) الروم : ٥٢ .

( ٣ ) أما سماع أهل القلب لكلام النبى ﷺ وعدم قدرتهم على الجواب ، فهذا خاص بأهل القليب أما الرطلاق فى هنا الأمر فلا ، حيث أن الموتى لا يسمعون كما سلف ( راجع كتاب الآيات البينات فى عدم سماع الأموات للألوسى تحقيق الألبانى ).

( ٤ ) ذكر هذه الفائدة بن رجب فى الأهوال ونبه عليها وأورد آثاراً كثيرة هناك فلتراجع .

( ٥ ) ابن حبان فى صحيحه ( ٧٨١ – موارد ) والحاكم ( ١/٣٧٩ – ٣٨٠ ) وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى قال الألبانى وإنما هو حسن فقط أحكام الجنائز ( ٢١٣ ).

(.. فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس وقد أذنت للغروب ، فيقال له : أرأيتك هذا الذى كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد عليه ؟ فيقول لهم : دعونى أصلى فيقولان : إنك ستفعل ) وهذا الحديث صريح فى أن المؤمن يصلى فى قبره .

## شواهد وآثار عن نعيم القبر

### رائحة المسك تفوح من قبور الصالحين :

### سعد بن معاذ ـ رضى الله عنه ـ :

ـ عن أبى سعيد الخدرى قال : كنت فيمن حفر لسعد بن معاذ قبره بالبقيع وكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا من قبره تراباً حتى انتهينا إلى اللحد(١).

ـ عن محمد بن شر حبيل بن حسنة قال : أخذ إنسان قبضة تراب من تراب سعد فذهب بها فنظر إليها بعد ذلك فإذا هى مسك(٢).

### الإمام محمد بن إسماعيل البخارى* :

وقال محمد بن أبى حاتم الوراق سمعت غالب بن جبريل وهو الذى نزل عليه البخارى بخرتنك قال : « وذكر قصة وفاة البخارى وفيها ( فلما أدرجناه فى أكفانه وصلينا عليه ووضعناه فى حفرته فاح من تراب قبره رائحة طيبة كالمسك ودامت أياماً وجعل الناس يختلفون إلى القبر أياما يأخذون من ترابه إلى أن جعلنا عليه خشباً مشبكاً »(٣).

### عبدالله بن غالب الحرانى* :

ـ وعن المغيرة بن حبيب أن عبدالله بن غالب الحرانى لما دفن أصابوا من قبره رائحة المسك(٤) .

### ريحان فى قبور الصالحين :

ـ ومن طريق أبى جعفر السراج عن بعض شيوخه قال :

« كشف قبر بقرب الإمام أحمد وإذ على صدر الميت ريحانة تهتز » .

---

( ١ ) ، ( ٢ ) ابن سعد فى الطبقات ( ٣-٢ ).

* محمد بن إسماعيل البخارى الإمام العظيم صاحب الصحيح جبل الحفظ وإمام الدنيا فى الحديث رحمه الله ورضى عنه وهو فى عن التعريف فمثله أشهر من أن يعرف .

( ٣ ) هدى السارى ص ( ٥١٨ ).

* عبدالله بن غالب الحرانى البصرى صدوق قليل الحديث كما يف التقريب راجع ترجمته فى التهذيب (٥/٣٥٤ ) ـ التقريب ( ١/ ٤٤٠ : ٥٣٣ ) ( الحلية لزى نعيم ٢/٢٥٧ ).

( ٤ ) كتاب الأولياء لابن أبى الدنيا حيث رقم ( ٨٠ ) وأخرجه أبونعيم فى الحليه ( ٦/٢٤٧ ، ٢٤٨ ).

ـ عن مسكين بن بكير أن وراداً العجلى لما مات فحمل إلى حفرته نزلوا ليدلوه فى حفرته ، فإذا اللحد مفروش بالريحان ، فأخذ بعضهم من ذلك الريحان فمكث الناس من ذلك فأخذه الأمير وفرق الناس خشية الفتنة ، ففقده الأمير من منزله لا يدرى كيف ذهب »(١)

ـ عن محمد بن مخلد الدورى الحافظ* قال : ماتت أمى فنزلت ألحدها فانفرجت لى فرجة عن قبر بقربها فإذا رجل عليه أكفان جدد وعلى صدره طاقة ياسمين طرية ، فأخذتها فشممتها ، فإذا هى أزكى من المسك وشمها جماعة كانوا معى ، ثم رددتها إلى موضعها وسددت الفرجة »(٢).

## إكرام الله لبعض الصالحين بإبقاء اجسامهم سليمة لا يغيرها البلى ولا يعفيها التراب .

ـ وأما من شوهد بدنه طرياً صحيحاً وأكفانه عليه صحيحة بعد تطاول المدة من غير الأنبياء عليهم السلام فكثير جداً ، ونحن نذكر من أعيانهم جماعة .

ـ عن عروة بن الزبير قال : لما سقط جدار النبى ﷺ وعمر بن عبد العزير يومئذ على المدينة انكشف قدم من القبر التى فى البيت فأصابها شىء فدميت ففزع من ذلك عمر بن عبد العزيز فزعاً شديداً ، فدخل عروة البيت فإذا القدم قدم عمر بن الخطاب ، فقال لعمر : لا تفزع هى قدم عمر بن الخطاب فأمر بالجدار فبنى ورد على حاله »(٣).

---

( ١ ) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الرقة والبكاء كما فى أهوال القبور .

* محمد بن مخلد بن حفص أبو عبدالله الدورى العطار كان أحد أهل الفهم موثوقاً به فى العلم متسع الرواية مشهوراً بالديانة موصوفاً بالأمانة مذكوراً بالعبادة قال الدار قطنى : ثقة مأمون ولد سنة ٢٣٣ هـ وتوفى ٣٣١ هـ راجع تاريخ بغداد ( ٣/ ٣١٠ ، ٣١١ ).

( ٢ ) أخرجه الخطيب فى تاريخ بغداد ( ٣/ ٣١١ ) مع اختلاف يسير فى اللفظ .

( ٣ ) هذا الأثر جاء فى صحيح البخارى ( ٣/ ٣٠٣ ) فتح البارى بنحوه عن عروة بن الزبير قال لما سقط عليهم الحائط فى زمان الوليد بن عبد الملك أخذوا فى بنائه فبدت لهم قدم ففزعوا وظنوا أنها قدم النبى ﷺ فما وجدوا أحداً يعلم حتى قال لهم عروة لا والله ما هى قدم النبى ﷺ ، ما هى إلا قدم عمر رضى الله عنه ». قال الحافظ فى الفتح ( ٣/ ٣٠٣ ) قوله لما سقط عليهم الحائط أى حائط حجرة النبى ﷺ والسبب فى ذلك ما رواه أبو بكر الآجرى من طريق شعيب بن إسحاق عن هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى قال كان الناس يصلون إلى القبر فأمر به عمر بن عبد العريز فوقع حتى لا يصل إليه أحد فلما هدم بدت قدم بساق وركبه ففزع عمر بن عبد العزيز فأتاه عروة فقال هذا ساق عمر وركبته فسرى عن عمر بن عبد العريز ا.هـ .

ـ عن جابر بن عبدالله قال : « كتب معاوية إلى عامله بالمدينة أن يجرى عيناً إلى أحد فكتب إليه عامله : إنها لا تجرى إلا على قبور الشهداء فكتب إليه أن أنفذها ».

ـ وقال جابر : رأيتهم يخرجون على رقاب الرجال كأنهم رجال نوام حتى أصابت المسحاة قدم حمزة(*) فانبعث دماً »(١).

ـ عن عبد الرحمن بن أبى صعصعة أنه بلغه أن عمرو بن الجموح(**)وعبد الله بن عمرو(***) الأنصاريين ثم السلميين ، كان قد حفر السيل قبرهما وكان قبرهما مما يلى السيل وكانا فى قبر واحد وهما ممن استشهدا فى يوم أحد فحفر عنهما ليغيرا من مكانهما فوجدا لم يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس وكان أحدهما قد جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فأميطت يده على جرحه ثم أرسلت فرجعت كما كانت وكان بين أحد وبين يوم حفر عنهما ست وأربعون سنة»(٢).

وذكر ابن الجوزى أن الشريف أبا جعفر بن أبى موسى لما دفن إلى جانب قبر الإمام أحمد بعد موت الإمام أحمد بمئتى سنة رؤى كفن الإمام أحمد وهو يتقعقع(٣) وقال : ولما كشف قبر البر بهارى(*) فاحت ببغداد رائحة طيبة حتى

---

* حمزة بن عبد المطلب بن هاشم أبوعمارة عم النبى ﷺ وأخوه من الرضاعة استشهد بأحد ولقبه النبى ﷺ أسد الله وسماه سيد الشهداء ، راجع الإصابة ( ٢/١٢١ ، ١٢٣ ).

( ١ ) الأثر أخرجه البغوى بإسناد حسن وأشار الحافظ فى الفتح إلى شاهد له بإسناد صحيح عند أبى سعد راجع فتح البارى ( ٣/٢٥٧ ).

** عمرو بن الجموح بن زيد حرام الأنصارى من سادات الأنصار واستشهد بأحد راجع الإصابه ( ٤/٦١٥ ،٦١٦ ).

*** عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى والد جابر رضى الله عنه الصحابى المشهور معدود فى أهل العقبة وبدر وكان من النقباء واستشهد بأحد راجع الإصابة ( ٤/١٨٩ ، ١٩٠ ).

( ٢ ) أخرجه مالك فى موطئه كتاب الجهاد باب الدفن فى قبر واحد من ضرورة ( ٢/٤٧٠ ) وهذا الأثر يخالف فى ظاهره ما رواه البخارى ( ١٣٥١ ) الجنائز من أن جابراً استخراج أباه من قبر عمرو بن الجموح بعد ستة أشهر ، وقد جمع الحافظ فى الفتح ( ٣/٣٠٣ ) بينهما جمعاً حسناً فقال : فإما أن يكون المراد بكونهما فى قبر واحد قرب المجاورة أو أن السيل خرق أحد القبرين فصارا كقبر واحد ا.هـ .

( ٣ ) مناقب أحمد لابن الجوزى ص ( ٤٨٣ ، ٤٨٤ ) وقال : وبين الإمام أحمد بن حنبل ووفاة الشريف أبى جعفر مائتا سنة وتسع وعشرون .

* البر بهارى هو الحسن بن على بن خلف أبو محمد البربهارى من كبار الحنابلة ومن=

ملأت المدينة(١).

## ومن الآثار عن نعيم القبر

* ما رواه مسلم عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لما مات أبو سلمة : « **اللهم افسح له قبره ونور له فيه** ».

* وأخرج الديلمى فى الفردوس عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا مات العالم صور الله له علمه فى قبره فيؤنسه إلى يوم القيامة ، ويدرأ عنه هوام الأرض** » أى يدفعها عنه .

* وأخرج أبو الفضل الطوسى فى عيون الأخبار بسنده عن عمر مرفوعا «من نور فى مساجد الله نوراً نور الله فى قبره ، ومن آراح فيه رائحة طيبة أدخل الله عليه فى قبره من روح الجنة ».

* وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن عبد الرحمن بن عمارة بن عقبة بن أبى معيط ، قال : « حضرت جنازة الأحنف بن قيس ، فكنت فيمن نزل قبره ، فلما سويته رأيته فسح له مد بصرى فأخبرت بذلك أصحابى ، فلم يروا ما رأيت .

* وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف ، وأبو داود فى سننه عن عائشةرضى الله عنها قالت : « لما مات النجاشى كنا نجد أنه لا يزال يرى فى قبره نور » .

* وأخرج ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد ، عن السرى بن مخلد ، أن النبى ﷺ قال لأبى ذر : « **لو أردت سفراً لأعددت له عده ، فكيف سفر طريق القيامة ؟ ألا أنبئك أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم** ؟ قال : بلى بأبى أنت وأمى(٢) قال : « **صم يوما شديد الحر ليوم النشور** »(٣) **وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور** ».

* وأخرج الديلمى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قال : قال رسول

---

= أصحاب الإمام أحمد جمع الزهد والعلم وصحب المروزى وسهلا التسترى كان شديداً فى الإنكار على أهل البدع توفى فى رجب سنة ( ٣٢٩ ) هـ له مصنف شرح كتاب السنة منه قطعة كبيرة فى طبقات الحنابلة . راجع ترجمته فى طبقات الحنابلة لأبى يعلى (١٨/٢ : ٤٤ ) مناقب أحمد ص ( ٥١٢ ، ٥١٣ ).

( ١ ) القصة فى مناقب أحمد ص ( ٥١٣ ) وذكر كرامة أخرى أثناء الصلاة عليه وكذا فى طبقات الحنابلة .

( ٢ ) أى أفديك بأبى وأمى ، وهى صيغة ثناء تنبىء عن أدب المتلقى الصحابى الجليل أبو ذر رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

( ٣ ) يوم النشور : ثم يبعث الموتى من القبور للحساب .

الله ﷺ : « قال موسى : يارب مالمن عاد مريضا ؟ قال : يوكل به ملكان يعودانه في قبره حتى يبعث »(١).

* وأخرج الديلمى والخطيب فى الرؤية وأبو نعيم.وابن عبد البر فى التمهيد عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه . قال قال رسول الله ﷺ : « من قال فى كل يوم مائة مرة : لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، كانت له أمانا من الفقر ، وأنسا من وحشة القبر ، وفتحت له أبواب الجنة ».

## الأنبياء والبرزخ

* اعلم وفقك الله ، أن الحق تبارك وتعالى قد وكل ملكا عند قبر النبى ﷺ لإخباره بمن يصلى عليه ، بتسمية الشخص الذى صلى على الرسول ﷺ باسمه .

قال ﷺ : « أكثروا الصلاة علىّ ، فإن الله وكل بى ملكاً عند قبرى ، فإذا صلى على رجل من أمتى ، قال لى ذلك الملك : يا محمد إن فلان ابن فلان صلى عليك الساعة(٢).

وقال ﷺ : « أكثروا الصلاة علىّ فى يوم الجمعة ، فإنه ليس يصلى علىّ أحد يوم الجمعة إلا عرضت على صلاته »(٣).

* الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء .

قال ﷺ : « إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصعقة ، فأكثروا علىّ من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم معروضة علىّ ، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء »(٤)

* الأنبياء فى القبر أحياء .

* صلاتهم - عليهم السلام - فى قبورهم .

قال ﷺ : « الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون »(٥) وقال ﷺ : « مررت ليلة أسرى بى على موسى قائماً يصلى فى قبره »(٦).

---

( ١ ) أى يوم القيامة .
( ٢ ) رواه الديلمى فى مسند الفردوس ، وحسنه شيخنا برقم ١٢١٨ فى صحيح الجامع .
( ٣ ) صححه الألبانى برقم ١٢١٩ فى صحيح الجامع .
( ٤ ) رواه أبو داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم ، وهو فى صحيح الجامع برقم ٢٢٠٨ .
( ٥ ) صححه الألبانى فى صحيح الجامع ورقمه ٢٧٨٧ .
( ٦ ) مسلم غيره .

* التـقـاء الرســول ﷺ بآدم ، ويحـيـى وعـيـسى ويوسـف وإدريس وهارون وموسى وإبراهيم ، عليهم الصلاة والسلام .

* بكاء موسى عليه السلام فى البرزخ حسد غبطة .

* نصيحة موسى عليه السلام لرسولنا ﷺ ، أن يسأل الله تعالى التخفيف فيما فرضه على عباده من الصلاة .

* عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :ـ « بينما أنا فى الحطيم مضطجعا ، إذ أتانى آت فقدما بين هذه إلى هذه فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى بماء زمزم ، ثم حشى ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض ، يقال له البراق ، يضع خطوة عند أقصى طرفه ،فحملت عليه ، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا ، فاستفتح ، قيل : منْ هذا !؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبا به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا فيها آدم ، فقال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عيله ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبا بالنبى الصالح ، والابن الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة ، قال : هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما ، فسلمت فردا ، ثم قالا : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يوسف قال : هذا يوسف ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل: مرحبا به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا ادريس ، قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت فرد ، ثم قال : مرحبا بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى السماء الخامسة ، فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إلى هارون قال : هذا هارون ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح ، والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء السادسة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا موسى ، قال : هذا موسى فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ، ثم قال : مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح ، فلما تجاوزت بكى ، قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة فاستفتح ، قيل :من هذا ؟ قال : جبر يل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، فلما خلصت إذا إبراهيم ، قال : هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، فقال : مرحبا بالابن الصالح ، والنبى الصالح .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال(١) هجر(٢) ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة ، قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ، ونهران ظاهران ، قلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لى البيت المعمور ، فقلت : يا جبريل : ما هذا ؟ قال : هذا البيت المعمور ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ، ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك .

ثم فرض على خمسون صلاة كل يوم ، فرجعت ، فمررت على موسى فقال: بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمسين صلاة كل يوم ، قال : إن أمتك لا

---

( ١ ) ، ( ٢ ) جاء فى « النهاية » هجر : قرية قريبة من المدينة ، وليست هجر البحرين ، وكانت تعمل بها القلال ، تأخذ الواحدة منها مزاده من الماء ، سميت قله لأنها تقل : أى ترفع وتحمل . والنبق كما جاء فى النهاية أيضاً هو ثمر السدر .

تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإنى والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى ، فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عنى عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت ، فوضع عنى عشراً ، فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم ، فرجعت إلى موسى، فقال : بم أمرت ؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم ، قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإنى قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، قلت : سألت ربى حتى استحييت منه ، ولكن أرضى وأسلم ، فلما جاوزت نادانى مناد ، أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى »(١).

## ما ينتفع به الميت بعد موته

١ ـ الصلاة عليه :

قال ﷺ : « **ما من ميت يصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة ، فيشفعون له ، إلا شفعوا فيه** »(٢).

وقال ﷺ : « **ما من ميت يصلى عليه أمة من الناس ، إلا شفعوا فيه** »(٣).

٢ ـ استئناس الميت بإخوانه فى الله بعد الدفن قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها .

وقد تقدم معنى قول عمرو بن العاص رضى الله عنه : فإذا دفنتمونى فأقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى . رواه مسلم .

٣ ـ الدعاء له بعد دفنه مباشرة بالتثبيت والاستغفار له .

عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « **استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت ، فإنه الآن يسأل** »(٤).

---

( ١ ) البخارى ومسلم وأحمد فى مسنده والنسائى .

( ٢ ) رواه مسلم وغيره .

( ٣ ) رواه النسائى وحسنه شيخنا الألبانى برقم ٥٦٦٣ فى صحيح الجامع .

( ٤ ) رواه أبو داود وصححه شيخنا الألبانى فى صحيح الجامع برقم ٩٥٦ .

٤ ـ الصدقة الجارية التى عملها فى حياته ، وعلم نافع وولد صالح يدعو له ، قال ﷺ : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » رواه مسلم .

٥ ـ الصدقة من قبل ابنه :

عن عائشة رضى الله عنها أن رجلاً قال للنبى ﷺ : إن أمى افتلتت نفسها(١) ولا أراها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها من أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : نعم «متفق عليه » .

٦ ـ الدعاء والاستغفار من سائر المسلمين والمؤمنين لقوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ** ﴾ (٢) .

وقال ﷺ : « من استغفر للمؤمنين وللمؤمنات ، كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة » .

٧ ـ رباطه فى سبيل الله تعالى فى الدنيا :

قال ﷺ : « **كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فى سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويؤمن فتنة القبر** » .

٨ ـ قضاء الدين عن الميت :

قال ﷺ « **نفس المؤمن معلقه بدينه حتى يقضى عنه** » .

وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يسقطه من ذمته ولو كان من أجنبى ، أو من غير تركته ، وقد دل عليه حديث أبى قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت، فلما قضا هما قال له النبى ﷺ « الآن بردت جلدته » .

* وأجمعوا على أن الحى إذا كان له فى ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أن ينفعه ويبر أمنه كما يسقط من ذمة الحى .

إنسان يعيش بيننا فجأه ، يخطفه منا الموت ، وباختصار نقوم بالواجب ، بعدها ننساه بدعوى أن الحى أبقى من الميت أو نبقى على ذكراه فنستسلم لأحزاننا، ونعيش حياتنا فى ألم مستمر بدعوى الوفاء له هكذا تفنى الحياة إما نسيان ، وإما أشجان والحياة قصيرة لا وقت فيها للنسيان أو الأحزان الحياة الحقيقية ليست هى النسيان والولاء الحقيقى ليس التمادى فى الأحزان فلنفكر

---

( ١ ) أى ماتت .
( ٢ ) الحشر : ١٠ .

سويا ماذا يفيد الميت بعد رحيله عنا ؟ كيف نقف بجانبه فى تلك المحنة العصيبة؟ إنه فى أشد الحاجه إلينا من الحى فقد غدا وحيداً مدفونا بقبر فى باطن الأرض ، انقطع عمله ، وانقطعت حيلته ، ولكن لم ينقطع انتفاعه بعمل الحى الذى يهبه باسم الميت بشرط أن يأذن الله تعالى حيث قال فى كتابه العزيز. ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾(١) وقال تعالى ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ** ﴾(٢).

وقال رسول الله ﷺ : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

وصور سعى الأحياء لإنقاذ الأموات كثيرة منها : الدعاء لهم ، والاستغفار لهم والصدقة ، والحج ، والصوم ، وغيرها من العبادات التى توهب للميت بإذن الله .

ذكر ابن أبى الدنيا عن أحد أصحابه قال : مات أخى فرأيته فى النوم فقلت : ما كان حالك حين وضعت فى قبرك ؟ قال : أتانى آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لى ، لرأيت أنه سيضربنى به .

وقال بشار بن غالب : رأيت ( رابعة العدوية ) فى منامى ، وكنت كثير الدعاء لها ، فقالت لى : يا بشار بن غالب ! هداياك تأتينا على أطباق من نور ، مخمرة بمناديل الحرير ، قلت : كيف ذلك ؟ قالت : هكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للميت استجيب لهم ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بمناديل الحرير ، ثم أتى بها الذى دعى له من الموتى فقيل هذه هدية فلان إليك .

وقال عمرو بن جرير : « إذا دعا العبد لأخيه الميت أتاه بها ملك إلى قبره ، فقال : يا صاحب القبر القريب ، هدية من أخ عليك شفيق .

وقال رسول الله ﷺ : « **إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره ، أو ولداً صالحا تركه ، أو مصحفا ورثه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتا لابن السبيل بناه ، أو نهراً أكراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته** » .

---

( ١ ) البقرة : ٢٥٥ .

( ٢ ) الزمر : ٤٤ .

أما القرآن فقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾(١) .

فأثنى الله سبحانه عليهم باستغفارهم للمؤمنين ، فدل ذلك على انتفاعهم باستغفار الأحياء وقال ﷺ « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » .

ومن دعائه عليه الصلاة والسلام : « اللهم إن فلانا ابن فلان فى ذمتك ، وحبل جوارك ، فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، فاغفرله وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم » .

وكان عليه الصلاة والسلام إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : «استغفروا لأخيكم ، واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل » .

وقال أيضا « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله » .

وعن وصول ثواب الصدقة للميت ـ ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ : إن أبى مات وترك مالا ولم يوص ، فهل يكفىء عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم .

وأما عن وصول ثواب الصوم ، فما روى عنه ﷺ « من مات وعليه صيام صام عنه وليه » ، وقوله أيضا « من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين » .

وفى وصول ثواب الحج : روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رجل: يا نبى الله إن أبى مات ولم يحج أفأحج عنه ؟ قال : « أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيه ؟ » قال : نعم قال : « فدين الله أحق »

* وروى عنه قوله ﷺ « اقرءوا ( يس ) عند موتاكم » وهذا يحتمل أن يراد به قراءتها على المحتضر عند موته ، ويحتمل أن يراد به القراءة عند القبر ، والاحتمال الأول أرجح لأن المحتضر ينتفع بهذه السورة لما فيها من التوحيد والبشرى بالجنة لأهل التوحيد وغبطة من مات عليه ، فذلك قوله تعالى﴿ يا ليت قومي يعلمون * بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين ﴾(٢) .

فتستبشر الروح بذلك ، فتحب لقاء الله ، فيحب الله لقاءها ، وسورة ( يس ) هى قلب القرآن كما أخبر المعصوم ، ولها خاصية عجيبة فى قراءتها عند المحتضر

---

( ١ ) الحشر ١٠ .  ( ٢ ) يس : ٢٦ ـ ٢٧ .

وبصفة عامة فإن قراءة القرآن من العبادات التى يصل ثواب قراءتها للميت كما قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، بشرط الشفاعة له عند الله أولا وقد يقبلها أو لا يقبلها كسائر العبادات الأخرى ، فقد يقبل الحج من إنسان ولا يقبله من آخر ، وقد يقبل صلاة ولا يقبل أخرى ، المهم النية الخالصة لوجه الله تعالى .

فلنتخيل مجموعة من المسلمين المخلصين قد اجتمعوا على ذكرى عزيز لهم مات ، ولم يرتدوا السواد ، ولم يعودوا للأحزان ، وإنما اجتمعوا على الحب والتآلف فيما بينهم لذكر الله تعالى والشفاعة لعزيز لهم عنده . ولكن ذلك فى منزل أحدهم أمسك كل منهم مصحفا شريفا ، وقسموا أجزاءه فيما بينهم ، وابتدأوا القراءة بنيه توجيه ثوابه إلى الميت فإن ذلك لن ينقص من ثواب أحد منهم شيئاً بل إنه سيصل إلى الميت فى قبره إن شاء الله فهذا ثواب للأحياء والأموات على السواء وقد يكون من بينهم ابن أو حفيد للميت ، فهذا امتداد لعمله ، ونتيجة سعيه فى الدنيا أنه خلف فيها ولداً صالحا وذرية صالحة ، وقد يكون من بينهم أخ أو أب أو قريب أو صديق جادت به مروءته إن لم يكن لطيب ذكر الميت ، وإلا ما تذكروه بالدعاء والذكر والشفاعة عند رب العزة والجلال وهذا من نتيجة عمل الميت نفسه .

فالولد الصالح أو البنت الصالحة هو الكنز الحقيقى للإنسان الذى ينفعه فى حياته وبعد مماته فليحاول كل أب وكل أم أن يبذلا قصارى جهدهما لتنشئة جيل صالح وليحاول كل ابن أن يكون باراً بأبويه فى حياتهما ومماتهما وليعلم أن الميت يعلم بعمل الحى من أقاربه وإخوانه ، وقد قيل : إن الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده .

وبالله التوفيق .

# أهم المراجع والمصادر


١ ـ القرآن الكريم : كتاب الله تعالى .

٢ ـ إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ـ المكتبة التوفيقية مصر .

٣ ـ القرطبى : التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة ـ دار الريان للتراث .

٤ ـ ابن قيم الجوزية : الروح ـ ط . دار نهر النيل .

٥ ـ الحافظ جلال الدين السيوطى : شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور شرح وتعليق محمد حسن الحمصى ـ دار الرشيد بيروت : ١٤٠٧ هـ/١٩٨٦م.

٦ ـ ابن الجوزى : مواعظ ابن الجوزى المسمى بالياقوتة ، دراسة وتحقيق أحمد عبد التواب عوض ـ دار الفضيلة : ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.

٧ ـ السيد سابق : فقه السنة ـ مكتبة دار التراث ـ مصر .

٨ ـ ابن كثير : البداية والنهاية .

٩ ـ الترمذى : الجامع الصحيح ( سنن الترمذى ) لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق القاضى الشرعى : أحمد محمد شاكر ـ دار إحياء التراث العربى ط ، بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.

١٠ ـ العسقلانى ، فتح البارى ، دار الريان للتراث .

١١ ـ الحافظ أبى داود ـ سنن أبى داود ـ ط حمص .

١٢ ـ الإمام أبى الحسين مسلم : صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

١٣ ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان / محمد فؤاد عبد الباقى / دار الحديث .

١٤ ـ الإمام أبو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة بيروت ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م.

١٥ ـ الماوردى : أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى / أدب الدنيا والدين تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة ـ ط . الشعب . القاهرة .

١٦ ـ زين الدين بن على المعرى / الاستعداد للموت وسؤال القبر / مكتبة التراث الإسلامى ـ ١٩٨٣ م.

١٧ ـ ابن القيم : مفتاح دار السعادة ـ دار الكتب العلمية بيروت : ١٤١٣هـ ١٩٩٣ م.

١٨ ـ الإمام النووى : أبى زكريا يحيى بن شرف / رياض الصالحين / دار الأقصى مصر .

١٩ ـ الإمـامين : جـلال الدين المحلى وجـلال الدين السـيوطى : تـفسـيـر الجلالين ـ ط . دار إحياء الكتب العربية ( عيسى البابى الحلبى وشركاه ) مصر ط ١٣٤٣ هـ .
٢٠ ـ محمد ناصر الدين الألبانى / تلخيص أحكام الجنائز ـ المكتبة الإسلامية ، عمان ، الدار السلفية ، الكويت ، ط ،١٤٠٢ هـ .
٢١ ـ الإمام مالك ، موطأ الإمام مالك ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
٢٢ ـ الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسى / مختصر منهاج القاصدين / قدم له الأستاذ محمد أحمد دهمان ، وعلق عليه شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرنؤوط ـ ط مكتبة دار التراث ـ القاهرة .
٢٣ ـ الحكيم الترمذى : أبى عبد الله محمد بن على نوادر الأصول تحقيق د. أحمد عبد الرحيم السايح ود. السيد الجميلى ـ ط . دار الريان للتراث ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨ م.
٢٤ ـ أبو نعيم : الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهانى : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ ط . دار الكتاب العربى بيروت ١٣٨٧ هـ .
٢٥ ـ ابن ماجه : الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى ـ سنن ابن ماجه ـ ط . الحلبى ١٩٥٣ .
٢٦ ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ ط . دار صادر بيروت .
٢٧ ـ الألبانى / صحيح الجامع الصغير وزيادته / بيروت .
٢٨ ـ الإمام أحمد بن حنبل / المسند / ط . دار الفكر .
٢٩ ـ الحافظ الذهبى / ميزان الاعتدال / بيروت .
٣٠ ـ ابن أبى الدنيا / من عاش بعد الموت تحقيق مصطفى عاشور / مكتبة القرآن .
٣١ـ الحافظ المنذرى / الترغيب والترهيب تحقيق مصطفى محمد عماره / ط . دار الحديث القاهرة.
٣٢ ـ الدارمى / سنن الدارمى / دار إحياء السنة النبوية .
٣٣ ـ النسائى / سنن النسائى بشرح السيوطى / ط . دار الفكر .
٣٤ ـ الألبانى / سلسلة الأحاديث الصحيحة / المكتب الإسلامى .
٣٥ ـ النووى / الأحاديث القدسية / مكتبة الاعتصام .
٣٦ ـ الألبانى / مختصر وصحيح الترغيب والترهيب للمنذرى / المكتب الإسلامى .

# الفهـــرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

رقم الإيداع ٩٣٦٩ / ٩٧